الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمَّد لمين دباغين سطيف 2

كلية العلوم الإنسانيَّة والاجتماعية

قسم التَّاريخ والآثار

مطبوعة الدعم البيداغوجي خاصة بمادة

التَّاريخ السِّياسي للأندلس

موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الدكتور: خالد حموم

السنة الجامعيَّة: 1441-1442هـ/2020-2021م

الإهداء:

أهدي هذا العمل إلى جدي علي حموم ووالده محمَّد (محند الشريف) وجد والدي (والد أمه) قاسي حموم الذين سقطوا شهداء – بإذن الله تعالى – في مجازر الثامن ماي 1945م بخراطة ولاية بجاية.

وإلى كل شهداء هذه المجازر الشنعاء في أرضنا الحبيبة الجزائر

مقدمة

يعد التَّاريخ السِّياسي للأندلس من المواضيع الهامَّة التي لا يمكن لدارس التَّاريخ أن يستغني عنها، فكنا دائمًا ولا زلنا نتساءل كيف دخل الإسلام لبلاد الأندلس ؟ ومتى كان دخوله ؟ ومن قام بفتح هذه البلاد ؟ كما نتساءل عن أهم الدول التي ظهرت في الأندلس بعد الفتح وعصر الولاة ؟ وكيف كانت العلاقات السياسية للأندلسيّين بالممالك النَّصرانية ؟ وهل تمكن الأندلسيون من التَّصدي لحروب الاسترداد المسيحية ؟

وأحاول من خلال هذه المطبوعة البيداغوجية، والموجهة لطلبة السنة الأولى ماستر تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، لملمة هذا الموضوع، والذي يشمل جغرافيًا بلاد الأندلس أو ما يعرف بشبه الجزيرة الإيبيرية، والجزائر الشرقية (مَيورقة، مِنورقة، يابسة) وزمنيًا يمتد لحوالي ثمانية قرون من سنة 92هـ/711م وهو تاريخ بداية الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس بقيادة طارق بن زياد إلى سنة 897هـ/1492م وهو تاريخ سقوط غرناطة آخر قلاع المسلمين في الأندلس بيد ملكي قشتالة وأراغون فرديناند وإيزابيلا.

وتشمل هذه المُدَّة من الدِّراسة مواضيع كثيرة بدئناها بالإطار الجغرافي لشبه الجزيرة الإيبيرية ثمَّ الأوضاع السِّياسيَّة لشبه الجزيرة الإيبيرية قبل الفتح الإسلامي، ثمَّ الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس، يليه عصر الولاة في الأندلس، ثم الخلافة الأمويَّة في الأندلس بجميع مراحلها عصر الإمارة والخلافة والدولة العامرية، دون أن أنسى التطرق لموضوع العلاقات السياسية بين أموي الأندلس ودول المغرب والممالك النصرانية، وكذلك الحديث عن كيفية سقوط الخلافة الأموية. وتشمل الدِّراسة أيضًا موضوع دويلات الطَّوائف الأولى في الأندلس، والدَّولة المرابطيَّة في الأندلس، ودويلات الطَّوائف الثانية، ثمَّ الدَّولة الموحِّديَّة في الأندلس، ثمَّ دولة بني نصر (بني الأحمر) في الأندلس، وختمت الدِّراسة بالبحث في العلاقات السياسية بين الأندلس وبلدان المغرب والممالك النصرانية من القرن 7 إلى 9 هـ/13-15م.

وأركز خلال دراستي لهذا الموضوع عن الجانب السِّياسي دون إغفال الجانب الإداري والعسكري واللذين يعتبران جزء من التَّاريخ السِّياسي ومكملان له.

وممَّا لا شك فيه أنَّ موضوع التَّاريخ السِّياسي للأندلس لا يدرس بمعزل عن باقي الأمم والدول والبقاع خاصةً بلاد المغرب الإسلامي الذي تربطه به علاقة وطيدة وعلاقة تأثير وتأثر كبيرين خاصةً في الميدان السِّياسي، وكذلك الممالك النَّصرانية في شمال شبه الجزية الإيبيرية بالإضافة إلى بلاد المشرق الإسلامي ودول ومالك أوروبا.

أمَّا المنهجيَّة التي تناولت بها الموضوع فتمثلت في السرد التَّاريخي للأحداث، وكانت عملية السرد اعتمادًا على المصادر وهو منهج لا يمكن الاستغناء عنه في الكتابات التَّاريخيَّة، وتخلَّل هذا السرد منهج التَّحليل لإظهار ما أمكن إظهاره من الحقائق والجوانب الخفيَّة، وكثفت من الاستشهاد بالنُّصوص في المتن والهامش إمَّا دعمًا لرأي أو مساندةً لاستنتاج ومن أجل تبسيط المعلومات وترسيخ الحقائق.

وأشير إلى أمر مهم جدًا ألَّا وهو مراعاتي في هذه المطبوعة تقديم المحاضرات بشيء من الإيجاز، لأنَّ الطالب نعطيه خلال هذه المدة القصيرة (سداسي) زُبدة القول، ولا يمكننا تقديم كل صغيرة وكبيرة، وشاردة وواردة، بل نفتح له نافذة تُسهل عليه الولوج لمختلف المصادر والمراجع للاستزادة أكثر فأكثر.

وأتمنى في الأخير أن تفيد هذه المحاضرات، الطلبة في الإطلاع على التَّاريخ السِّياسي للأندلس، وتعينهم على التَّحصيل العلمي الجيد.

المحاضرة الأولى: الإطار الجغرافي لشبه الجزيرة الإيبيرية

1- جغرافية شبه الجزيرة الإيبيرية:

1-1- الموقع الجغرافي:

تقع شبه الجزيرة الإيبيرية (اسبانيا والبرتغال حاليًا) والمشهورة في العصر الوسيط باسم الأندلس في الجنوب الغربي من قارة أوروبا، تفصلها عن فرنسا جبال البيرينيه، وهي جبال شاهقة، تتخللها شعاب ضيقة، وممرات وعرة، ويفصلها عن قارة إفريقيا مضيق جبل طارق[1]، ويذكر الحموي أنَّ المسافة بين الأندلس وبلاد المغرب تقدر باثني عشر ميلًا، بحيث يرى أهل الجانبين بعضهم بعضًا[2].

ويحدها من الشمال فرنسا وخليج بِسكاي (يسمى أيضًا خليج غاسكونيا أو بحر الكرانتيك) ومن الشرق والجنوب البحر الشامي (البحر الرومي، مشهور حاليًا بالبحر الأبيض المتوسط) ومن الغرب البحر المظلم أو بحر الظلمات (المحيط الأطلسي).

1- ريما محمَّد درنيقة: **الوجيز في التَّاريخ السِّياسي والحضاري للأندلس**، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2013م، ط1، ص15.

2- **مُعجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977م، مج1، ص262.

ويذكر الإدريسي والحِميري أن الأندلس في ذاتها فشكل مثلث يحيط بها البحر من جميع جهاتها الثلاث، فجنوبها يحيط بها البحر الشامي (البحر الرومي) وغربها يحيط بها البحر المظلم (المحيط الأطلسي) وشمالها يحيط بها بحر الإنقليشيِّين (الإنجليز أي بحر الشمال)[1].

وقسَّمت المصادر الجغرافية بلاد الأندلس إلى عدَّة أقاليم، وذكرت مميزات كل إقليم، وخصائصه، وامتداده، وأهم مدنه وقراه[2].

1-2- تضاريسها ومناخها:

على الرغم من أنَّ شبه الجزيرة الإيبيرية تتكون في معظمها من هضبة كبيرة، وهو ما يجعلها تبدو وكأنها وحدة جغرافية، فإنَّ كثرة جبالها، وامتداداتها الواسعة، وكثرة أوديتها العميقة، قد أعاقت الاتصال بين أجزاء شبه الجزيرة المختلفة، مما أدى إلى نشوء وحدات محلية منفصلة عن بعضها البعض بحواجز طبيعية[3].

وفي شبه الجزيرة الإيبيرية تتعدد الأقاليم المناخية، فالمنطقة الشمالية والغربية المطلة على المحيط الأطلسي تمتاز بمناخ محيطي، حيث ينهمر المطر بغزارة على مدار السنة، وينتج عنه مراعي غنية. ويسود المناخ القاري شبه الجاف المناطق الوسطى من شبه الجزيرة، حيث تنبت الأعشاب

1- **القارَّة الإفريقيَّة وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، تحقيق وتقديم وتعليق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 1983م، ص255 ؛ **الرَّوضُ المعطار في خبر الأقطار**، حقَّقه إحسان عبَّاس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، ص32-33.

2- لمعرفة هذه الأقاليم والمدن بصفة مفصلة. (انظر: الإدريسي، **القارَّة الإفريقيَّة وجزيرة الأندلس**، ص257 وما بعدها ؛ الزُهري: **كتاب الجغرافية**، تحقيق محمَّد حاج صادق، مكتبة الثقافية الدينية، مصر، د.ت، ص 79 وما بعدها ؛ الحميري، **الرَّوضُ المعطار**، ص32 وما بعدها).

3- ريما محمَّد درنيقة، **المرجع السَّابق**، ص15.

القليلة. أما المنطقة المطلة على البحر الأبيض المتوسط (البحر الرومي أو بحر الزقاق)، فتمتاز باعتدال مناخها و بأمطارها الشتوية وصيفها المعتدل الجاف[1].

1-3- ميزاتها الطبيعية وخيراتها:

يقول الحِميري أنَّ الأندلس بقعة كريمة، طيبة التربة، كثيرة الفواكه، والخيرات فيها دائمة، وبها المدن الكثيرة والقواعد العظيمة، وفيها معادن الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد والزئبق واللازورد والشب وغيرها[2].

ويُشبهها الحِميري بمجموعة من البلدان والأقطار، حيث قال أنَّها "شامية في طيبها وهوائها، يمانية في اعتدالها واستوائها، هندية في عطرها وذكائها، أهوازية في عِظم جناتها، صينية في جواهر معادنها، عدنية في منافع سواحلها"[3].

ويتحدث الزُهري أيضًا عن بركة الأندلس وخيراتها فقال أنها حسنة الهواء طيبة الماء، طولها أربعون يومًا، يشقها أربعون نهرًا، لا يوجد هذا في معمور الأرض إلَّا فيها. وهي أبرك بقاع الأرض وأكثرها نسلًا، وذلك لأنَّها صُقع صغير، وفيها ثمانون مدينة من القواعد الكبار، ومثلها وأزيد من الصِّغار، وليس في معمور الأرض صُقع أصغر من هذا الصُّقع يجد فيه المسافر ثلاث مدن وأربع مدن قريبة بعضها من بعض إلَّا في الأندلس. ومن بركتها أنَّه لا يمشي الإنسان فيها فرسخين دون ماء، ولا يمشي ثلاثة فراسخ إلَّا وجد فيها الخبز والزيت في الحوانيت على طول سفره[4].

1- ريما محمَّد درنيقة، **المرجع السَّابق**، ص15-16.

2- **الرَّوض المعطار**، ص32.

3- **الرَّوض المعطار**، ص33.

4- **كتاب الجغرافية**، ص80.

2- مصطلح الأندلس:

أطلق اليونان على الأندلس اسم ايبيريا (Iberie) وهذه التسمية نسبة لشعب قديم مجهول الأصل يعتبر أقدم شعوب أوروبا الغربية كلها. أمَّا الرومان فقد أطلقوا عليها اسم اسبانيا[1].

أمَّا المسلمون فقد سموا شبه الجزيرة الإيبيرية باسم الأندلس، نسبة إلى قبيلة الوندال التي ملكت هذه البلاد، وهم شعوب الجرمان الأوروبية[2].

وقال الإدريسي أنَّ تسمية الأندلس مأخوذة من أندلس بن طوبال بن يافث بن نوح[3]، ويقول الحِميري "أنَّه يقال إنَّ أوَّل من اختط الأندلس بنو طوبال بن يافث بن نوح، حيث سكنوا الأندلس في أول الزمان، وملوكهم مائة وخمسون ملكًا"[4].

وذكر الحِميري أيضًا العديد من التسميات لبلاد الأندلس، حيث قال "أنَّه قيل اسمها في القديم أبارية، ثمَّ سميت بعد ذلك باطقة، ثم سميت اشبانية من اسم رجل ملكها في القديم كان اسمه اشبان، وقيل سميت بالاشبان لقوم سكنوها في الأول من الزمان، وسميت بعد ذلك بالأندلس من أسماء الأندليش الذين سكنوها"[5].

1- الإدريسي، **القارَّة الإفريقيَّة وجزيرة الأندلس**، ص245، هامش 2.

2- الإدريسي، **القارَّة الإفريقيَّة وجزيرة الأندلس**، ص245، هامش 1 ؛ عبد اللَّطيف عبد الهادي: **الأندلس الإسلاميَّة سياسيًا وحضاريًا**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2011م، ص13.

3- **القارَّة الإفريقيَّة وجزيرة الأندلس**، ص245، هامش 1.

4- **الرَّوض المعطار**، ص32.

5- **نفسه**.

ويؤكد ابن عذارى رأي الحِميري الأخير حيث قال "أنَّه قيل إنَّ أوَّل من نزل الأندلس بعد الطوفان قومٌ يعرفون بالأَنْدَلِش (بشين مُعجمة) فسميت بهم الأَنْدَلُس (بالسين غير مُعجمة) وقيل أنَّهم كانوا مجوسًا، فأراد الله طردهم منها، فحبس المطر عنهم، فأصابهم القحط والجفاف، فخرجوا منها وتفرقوا في البلاد"[1].

المحاضرة الثانية: الأوضاع السِّياسيَّة لشبه الجزيرة الإيبيرية قبل الفتح الإسلامي

1- استيلاء القوط على شبه الجزيرة الإيبيرية (الأندلس):

القوط هم قبائل جرمانية شرقية، قاموا بغزو الإمبراطورية الرومانية في القرن الثالث للميلاد، وكان لهم دور في سقوطها، انقسموا إلى قوط شرقيين وغربيين، فملك القوط الغربيون الأندلس، ويذكر صاحب كتاب ذكر بلاد الأندلس أنَّ القوط كانت بينهم وبين الروم حروب عظيمة كان فيها الظهور للقوطِيّين، فصالحهم ملك الروم بأن أسلم إليهم الأندلس، فجعلوا عاصمة مملكتهم طليطلة[2].

1- **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1980م، ط2، ج2، ص1.

2- مجهول: **ذكر بلاد الأندلس**، تحقيق وترجمة لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، المعهد ميغيل أسين، مدريد، 1983م، ج1، ص91.

وقد ملك القوط الأندلس مدة ثلاثة قرون، وكان عدد ملوكهم في شرقي بلاد روما وجوفها سبعة وثلاثين ملكًا، والذي ملك منهم الأندلس تسعة ملوك[1]، أولهم شنشقوط بن تبرين، ثمَّ ولده شبيلة، ثمَّ شنبشر بن شبيلة، ثمَّ تلعة بن شبيلة، ثم وخشرند بن تلعة، ثمَّ ارجشيدش بن وخشرند، ثمَّ ابن ارجشيدش وكان مشتركًا في الملك مع أخيه اقفة، ثمَّ حكم الملك الثامن غيطيشة[2] بن أهد بن ارجشيدش مدة ثلاث سنوات[3].

2- استيلاء لذريق على الحكم واضطراب الأوضاع السياسية في الأندلس:

حينما توفي غيطيشة[4] استولى لذريق على حكم الأندلس بالقوة، رغم أنَّه لم يكن من أهل بيت المَلك، وإنما كان عامله على قرطبة فقط. وحينما استتب له الأمر، أفسد سنن من تقدمه من الملوك، وبدَّل سيرتهم وجار وعسف في الرعية[5].

ومن سُنن ملوك القوط التي بدلها لذريق تجرئه على فتح ذلك البيت المقفل في طليطلة، وقد أوردت المصادر التَّاريخية هذه الحادثة، ويُحتمل أن تكون صحيحة، حيث تنبأت هذه الحادثة بزوال مُلك لذريق في الأندلس، ومفادها أنَّه كان في مدينة طليطلة بيت عليه أقفال، فكلما أتى ملك

1- **ذكر بلاد الأندلس**، ج1، ص91-92. (بينما يذكر ابن عذارى أنَّ عدد ملوك القوط في الأندلس هو ستة عشر ملكًا). (انظر: **البيان المغرب**، ج2، ص2).

2- جاء عند صاحب كتاب ذكر بلاد الأندلس باسم غيطيشة، وورد عند ابن القوطية باسم غَيْطشة، بينما جاء عند ابن عذارى باسم وَخْشَنْدَش. (انظر: مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ج1، ص93 ؛ **تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م، ط2، ص29 ؛ **البيان المغرب**، ج2، ص2.

3- **ذكر بلاد الأندلس**، ج1، ص92-93.

4- مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ج1، ص93. (بينما يذكر ابن عذارى أنَّ لذريق هو من قتل غيطيشة). (انظر: **البيان المغرب**، ج2، ص3).

5- مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ج1، ص93.

يزيد عليه قفلًا ولم يتجرأ أحد على فتحه خوفًا منه وتعظيما له، وقيل وصل عدد أقفاله عشرون قفلًا، وحينما تولى لذريق أصرَّ على فتحه رغم أنَّ القساوسة والرهبان والأساقفة نصحوه بعدم فعل ذلك، وحينما فتحه وجد فيه رف كبير وقيل تابوت وقيل صندوق، فيه صورة رجال عليهم العمائم وتحتهم الخيول المُسَوَّمَة، وفي أيديهم السيوف، والرايات على القنا بين أيديهم، وفيه مكتوب بالعجمية هذه صورة العرب (المسلمين)[1] فإذا فتحت أقفال هذا البيت ودُخل البيت، فتح العرب (المسلمين) هذه الجزيرة وتملكوا أكثرها، فندم لذريق على فتحه وأغلقه[2].

والحادثة التي زادت من تأزم الأوضاع السِّياسيَّة في الأندلس آنذاك، دخول الملك لذريق في صراع مع يوليان[3] حاكم سبتة، بسبب اغتصاب لذريق لبنت يوليان، حيث يذكر ابن عبد الحكم

1- يُقصد هنا بلفظ العرب، المسلمين جميعًا وليس العرب لوحدهم، لأنه معلوم بالضرورة أنَّ من فتح الأندلس هو طارق بن زياد وغالبية جيشه كان من البربر. وسأتحدث في المحاضرة التالية عن تعداد جيش طارق وقوميته، واختلاف أراء المؤرخين في هذا الشأن.

2- وردت هذه الحادثة في مصادر كثيرة، مع اختلافات بسيطة بينها في حيثياتها. (انظر: ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص33 ؛ مجهول: **فتح الأندلس في عهد موسى بن نصير**، تحقيق حساني مختار، منشورات مطبعة دحلب، الجزائر، د.ت، ص8-9 ؛ مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ج1، ص93-94 ؛ ابن الكردبوس، ابن الشباط: **تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط**، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدِّراسات الإسلامية، مدريد، 1971م، ص43 ؛ ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج2، ص3).

3- ورد هذا الاسم في المصادر الإسلامية بالأشكال التالية: يوليان، يليان، يلبان، وليان، وليار، جليان، إليان، البان، واختلفت هذه المصادر أيضًا حول أصله فالبعض يرى أنَّه قوطي، والبعض الآخر يرى أنَّه رومي أي بيزنطي، والبعض قال أنَّه تاجر من العجم دون تحديد أصله بدقة، وقيل أنَّه رجل من العِلج، وهناك من قال أنَّه بربري من غمارة. وتتفق المصادر جميعًا على أنَّه صاحب سبتة ونواحيها. (انظر: ابن عبد الحكم: **فُتُوح مصر والمغرب**، تحقيق عبد المنعم عامر، شركة الأمل للطِّباعة والنَّشر، مصر، د.ت، ج1، ص276 ؛ ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص33 ؛ **تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط**، ص 42، هامش4 ؛ ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج2، ص4 ؛ مجهول، **فتح الأندلس في عهد موسى بن نصير**، ص9).

أنَّ يوليان "أرسل ابنته إلى لذريق ليؤدبها ويعلمها، فأحبلها، فبلغ ذلك يوليان، فقال لا أرى له عقوبة ولا مكافأة إلَّا أن أدخل عليه العرب (يقصد هنا بالعرب، المسلمين)[1].

ولمَّا فسدت العلاقة بين يوليان وملكه القوطي لذريق، راسل يوليان طارق بن زياد[2] وعرض عليه المساعدة في فتح الأندلس انتقامًا من ملكها لذريق[3]. كما تبادلا الهدايا، وحينما طالب طارق من يوليان رهينة لكي يأمن شره، أرسل له يوليان ابنتيه ولم يكن له ولد غيرهما[4].

وتعتبر هذه المساعدة التي قدمها يوليان للمسلمين من الأسباب الرئيسية لفتح بلاد الأندلس، بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير.

1- **فُتُوح مصر والمغرب**، ج1، ص277. (وردت هذه الحادثة أيضًا في كتاب فتح الأندلس في عهد موسى بن نصير، بأكثر تفصيل وتشويق). (انظر: مجهول، **فتح الأندلس في عهد موسى بن نصير**، ص9-10).

2- هو طارق بن زياد بن عبد الله بن رَفْهُو بن وَرْفَجُوم بن يترغاسن بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو، ويذكر ابن عذارى أنَّ المؤرخين اختلفوا في نسبه، فالأكثرون يقولون أنَّه بربري من نفزة، وهو الصحيح، وقال آخرون أنَّه فارسي. ويتفقون جميعًا أنَّه عامل لموسى بن نصير على المغرب الأقصى. (انظر: **البيان المغرب**، ج2، ص5).

3- ابن عبد الحكم، **فُتُوح مصر والمغرب**، ج1، ص277 ؛ ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج2، ص6. (غير أنَّ صاحب كتاب فتح الأندلس في عهد موسى بن نصير، يقول أنَّ يوليان اتصل بموسى بن نصير والتقيا معًا في القيروان. والأرجح ما أثبتناه في المتن، لأنَّ القيروان بعيدة جدًا عن سبتة، أمَّا طنجة فقريبة من سبتة وبالتالي يسهل الاتصال بواليها طارق بن زياد. (انظر: مجهول، **فتح الأندلس في عهد موسى بن نصير**، ص10-11).

4- ابن عبد الحكم، **فُتُوح مصر والمغرب**، ج1، ص277.

المحاضرة الثالثة: الفتح الإسلامي للأندلس

استكمل موسى بن نصير فتح المغرب الأوسط، ثمَّ اتجه إلى المغرب الأقصى وأخضع قبيلة أوربة البربرية[1]، والسوس الأقصى، والمصامدة في جبال درن، كما فتح السوس الأدنى وعيّن واليًا عليها، ثمَّ فتح طنجة وولى عليها رجل من البربر يدعى طارق بن زياد[2]، ولم تبق غير مدينة سبتة التي استعصت على المسلمين لحصانتها الطبيعية والصناعية ومساعدة ملوك القوط لحاكمها يوليان[3].

وباستيلاء المسلمين على طنجة قاعدة المغرب الأقصى وتحويلها إلى رباط عسكري بقيادة طارق بن زياد يكتمل فتح المغرب الأقصى، ويبدأ التفكير في فتح بلاد الأندلس.

وقد جاءت الفرصة للمسلمين لفتح هذه البلاد حينما عرض حاكم سبتة "يوليان" على والي طنجة "طارق بن زياد" المساعدة من أجل فتح بلاد الأندلس[4]، فاستشار طارق موسى بن نصير في القيروان واستشار هو الآخر الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك في استكمال الفتح إلى

1- أطلق الرومان ثمَّ المؤرخين المسلمين بعدهم تسمية البربر على سكان شمال إفريقيا، وهي كلمة هجينة تعبر عن مرحلة بدائية من التَّنظيم الاجتماعي ولا تعني أبدًا معنى الهمجية أو الوحشية، والتَّسميَّة الصحيحة لهم والتي سمو بها أنفسهم هي الأمازيغ. (انظر: موسى لقبال: **المغرب الإسلامي**، الشركة الوطنية للنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، 1981م، ط1، ص16).

2- ابن عذارى: **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ط3، ج1، ص40 وما بعدها ؛ **تاريخ ابن خلدون**، المسمَّى **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، 2000م، ج4، ص239.

3- موسى لقبال، **المرجع السَّابق**، ص89.

4- ابن عبد الحكم، **فُتُوح مصر والمغرب**، ج1، ص276-277.

ما وراء البحر أي إلى بلاد الأندلس، فأذن له الخليفة بشرط إرسال حملات استطلاعية لمعرفة أحوال هذه البلاد[1].

فأرسل طارق بن زياد لهذا الغرض قائد من قادة البربر اسمه طريف بن زرعة بن أبي مدرك[2] ويكنى بأبي زُرعة في مئة فارس وأربع مائة راجل سنة 91هـ/710م على رأس حملة انطلقت من طنجة بأربعة سفن أمدها لهم حاكم سبتة يوليان إلى ساحل الأندلس، فنزل في موضع أصبح يدعى جزيرة طريف إلى يومنا هذا، وشنَّ سلسلة غارات وصلت حتى الجزيرة الخضراء فقتل وسبى وأصاب غنائم كثيرة، وعاد إلى طنجة بأخبار مفرحة لطارق، حيث أخبره بسعة البلاد وكثرة نعمها وخيراتها، ولمَّا سمع موسى بن نصير بهذه الأخبار أمر طارق بتجهيز حملة كبرى لغرض فتح الأندلس[3].

1- مجهول: **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م، ط2، ص16.

2- حسين مؤنس: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد، القاهرة، 2004م، ص269.

3- مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس**، ص16-17 ؛ مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ج1، ص98.

جهز طارق بن زياد جيشًا قدره حوالي اثنا عشر ألف جندي من البربر[1]، وعبر إلى الأندلس وقيل أنَّه أحرق السفن عندما وصل إلى العُدوة الأندلسية[2] وقال مقولته المشهورة لتشجيع الجيش على الثبات والجهاد في سبيل الله "أيُّها النَّاس أين المفر ؟ البحر من وراءكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلَّا الصدق والصبر...."[3]. وقد حط طارق في جبل يُعرف إلى اليوم باسمه وهو جبل طارق في شعبان 92هـ/جوان 711م وبدأ حملته بالاستيلاء على المدن والقرى المجاورة له، ثمَّ تقدم في البلاد يحقق نصرًا تلو الآخر على الجيوش التي كان يرسلها لذريق لصدِّ تقدمه[4]، وعندما لم

1- اختلف المؤرخون في تحديد عدد جيش طارق بن زياد، حيث يذكر الرقيق القيرواني أنَّ عدده اثنا عشر ألف جندي من البربر، ويتفق معه في العدد صاحب كتاب ذكر بلاد الأندلس ويقول أنَّ عشرة آلاف منه كانت من البربر وألفين من العرب وسبعمائة من السودان (أفارقة سود) كما يتفق معهما ابن الأثير في العدد لكن دون تفصيل في قومية هذا الجيش الإسلامي، في حين يقول صاحب كتاب فتح الأندلس في عهد موسى بن نصير أنَّ عدده ثلاثة عشر ألف بين العرب والبربر دون تحديد النسب لكل وحد منهما، بينما يرى صاحب كتاب أخبار مجموعة في فتح الأندلس أنَّ عدده سبعة آلاف مقاتل فقط ويذكر أنَّ جلهم من البربر والموالي، وليس فيهم عرب إلَّا قليل. (انظر: **تاريخ أفريقية والمغرب**، تقديم وتحقيق وتعليق، محمَّد زينهم محمَّد عزب، دار الفرجاني للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، 1994م، ط1،ص53 ؛ مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ج1، ص98 ؛ **الكامل في التَّاريخ**، راجعه وصحَّحه محمَّد يوسف الدَّقاق، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1987م، ط1، مج4، ص264 ؛ مجهول، **فتح الأندلس في عهد موسى بن نصير**، ص 12 ؛ مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس**، ص17).

2- الإدريسي، **القارَّة الإفريقيَّة وجزيرة الأندلس**، ص263. (وللبحث أكثر في مسألة إحراق طارق للسفن من عدمها. انظر: عبد الحليم عويس: **إحراق طارق بن زياد للسفن أسطورة... لا تاريخ**، دار الصحوة للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، 1995م، ط1، ص5 وما بعدها).

3- عبد الحليم عويس، **إحراق طارق بن زياد للسفن**، ص25-26.

4- من العوامل التي ساعدت طارق بن زياد على الفتح انضمام أبناء غيطيشة الثلاثة إليه، وخيانتهم للملك لذريق، حيث استجابوا في البداية لطلب لذريق للتحالف معه، ثمَّ خانوه وانضموا إلى طارق بن زياد بنواحي قرطبة، وطلبوا منه الأمان وأن يعطيهم ضياع أبيهم، وكانت ثلاثة آلاف ضيعة، سُمِّيت بعد ذلك صفايا الملوك. وأرسلهم طارق إلى موسى بن نصير في المغرب، وأرسلهم بدوره إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك بدمشق فأنفذ لهم عهد طارق، وعقد لكل واحد منهم سجلًّا. (انظر: ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص29-30).

تغني هذه البعوث التي أرسلها، تجهز لذريق بنفسه في جيش ضخم بلغ تعداده مئة ألف مقاتل[1]، وقد توجه به جنوبًا صوب جيش طارق بن زياد فالتقى الجمعان في الثامن والعشرين رمضان 92هـ/18جويلية 711م في معركة ضارية دامت ثمانية أيام انتهت بانتصار المسلمين وانهزام القوط وقتل ملكهم لذريق أو غرقه في بعض الرِّوايات، وقد سميت هذه المعركة بأسماء عدَّة منها معركة شذونة، البحيرة، وتُعرف أكثر بمعركة وادي لكة[2].

ثمَّ تقدم طارق لمواصلة الفتح فهزم القوط المجتمعين في مدينة استجة، وفتح قرطبة وطليطلة عاصمة القوط ومدن كثيرة[3]، وهنا أصبحت البلاد كلها تقريبًا سهلة للفتح وفي متناول الخلافة الأموية.

أمَّا موسى بن نصير فقد أعد بدوره جيشًا قوامه ثمانية عشر ألف مقاتل[4] ودخل الأندلس بعد عام من حملة طارق في رمضان 93هـ/جوان 712م وفتح شذونة وقرمونة واشبيلية وماردة وباجة[5]، ثمَّ ذهب إلى طليطلة فاستقبله طارق بتعظيم وإجلال، ولكن موسى بدلًا أن يشكره وبخه

1- مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس**، ص18.

2- ابن عبد الحكم، **فتوح مصر والمغرب**، ج1، ص277 وما بعدها ؛ ابن الأثير، **الكامل في التَّاريخ**، مج4، ص264 ؛ **تاريخ ابن خلدون**، ج4، ص239.

3- ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص35 ؛ مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ج1، ص99.

4- مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس**، ص24. (غير أنَّ صاحب كتاب ذكر بلاد الأندلس يذكر أنَّ عدد جيش موسى هو عشرين ألف فارس). (انظر: **ذكر بلاد الأندلس**، ج1، ص99).

5- مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس**، ص24 وما بعدها.

وأنَّبه على عدم توقفه عند قرطبة ومواصلته للفتح[1]، ويذكر ابن عبد الحكم أنَّ طارق ترضاه وقال له إنَّما أنا مولاك وهذا الفتح لك[2]، فقبل موسى اعتذاره ورضي عنه[3].

والمهم بعد هذا اللقاء وضع القائدان طارق وموسى خطة لإتمام فتح ما تبقى من الأندلس فقد خرج الجيش الإسلامي من طليطلة وعلى مقدمته طارق ومن خلفه موسى في بقية الجيش متوجهين إلى الشمال الشرقي ففتحا مدينة سرقسطة وبرشلونة ونافار ووصلوا إلى جبال البرت (البرينيه) ثمَّ افتتحا مدن الإقليم الشمالي الغربي المتمثلة في جليقية وقشتالة وغيرهما، وأخيرًا عادوا أدراجهم جهة الجنوب الشرقي وفتحوا بلنسية، ولم يفتح المسلمون فقط من شبه الجزيرة الإيبيرية إلَّا أقصى الشمال الغربي حيث جبال أستوريش التي اعتصم بها القوط رفقة زعيمهم بلايو أو بلاي وشيئًا فشيئًا قويت شوكتهم حتَّى كونوا المملكة النَّصرانيَّة في الشمال[4].

وأقام موسى بالأندلس مجاهدًا وجامعًا للأموال ومرتبًا للأمور إلى بداية سنة 95هـ/714م ثمَّ استخلف ابنه عبد العزيز عليها ورجع إلى القيروان ومنها أستدعي من قبل الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك إلى المشرق رفقة طارق بن زياد[5].

1- الرقيق القيرواني، **تاريخ أفريقية والمغرب**، ص54.

2- **فتوح مصر والمغرب**، ج1، ص280.

3- مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ج1، ص100.

4- محمَّد محمَّد زيتون: **المسلمون في المغرب والأندلس**، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1990م، ص168.

5- المراكشي: **المُعجب في تلخيص أخبار المغرب**، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، منشورات محمَّد علي بيضون، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1419هـ/1998م، ط1، ص11. (وعن مصير موسى بن نصير وطارق بن زياد). (انظر: ابن عبد الحكم، **فتوح مصر والمغرب**، ج1، ص284 وما بعدها ؛ ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص36-37 ؛ الرقيق القيرواني، **تاريخ أفريقية والمغرب**، ص58-59).

المحاضرة الرابعة: عصر الولاة في الأندلس

يبدأ عصر الولاة في الأندلس من ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير سنة95هـ/714م وينتهي مبكرًا في سنة 138هـ/755م بقيام الدَّولة الأموية، عكس بلاد المغرب الذي تأخر نسبيًا حتى سنة 184هـ/800م، وقد قامت الدَّولة الأموية بقيادة عبد الرَّحمان بن معاوية الملقب بالداخل وبصقر قريش حيث قضى على آخر والي عباسي وهو يوسف بن عبد الرحمان الفهري في شهر ذي الحجة 138هـ/ماي 756م[1].

وقد تولى الأندلس بعد فتحها سنة 92هـ/711م إلى أن دخلها عبد الرَّحمان الداخل حوالي عشرين واليًا في فترة قاربت نصف قرن من الزمن، وقد مكث بعضهم في الإمارة عدَّة أشهر فقط وهناك من حكم بضع سنوات. ويتم تعيينهم إمَّا بقرار من الخلافة في المشرق مباشرةً أو بقرار من والي المغرب، وقد يُجمع الجُند وأهل الأندلس أحيانًا على اختيار والي ثمَّ يُقره الخليفة فيكون التَّعيِّين ذاتيًا[2].

وقد استمر ولاة الأندلس في رفع راية الجهاد في سبيل الله، وقادوا معارك عدَّة ضدَّ النَّصارى، انتصروا في بعضها وانهزموا في أخرى، أشهرها على الإطلاق معركة بلاط الشهداء (بواتييه) بقيادة الوالي عبد الرحمَّان الغافقي سنة 114هـ/732م والتي سقط فيها شهيدًا وانتهت بهزيمة المسلمين[3].

1- أسعد حَومَد: **محنة العرب في الأندلس**، المؤسَّسة العربيَّة للدِّراسات والنَّشر، بيروت، 1988م، ط2، ص70-71.

2- منى حسن محمود: **المُسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة (92-206هـ-714-814م)**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986م، ص10 ؛ محمَّد محمَّد زيتون، **المرجع السَّابق**، ص191 وما بعدها.

3- ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج2، ص28 ؛ شاكر مصطفى: **الأندلس في التَّاريخ**، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 1990م، ص26.

وقُسِّمت بلاد الأندلس إداريًا في البداية إلى أربع ولايات، يعين لكل واحدة حاكم مسئول أمام والي الأندلس، وتشمل الولاية الأولى الأراضي الواقعة بين البحر ونهر الوادي الكبير وما يلي هذا النهر إلى وادي بانا وأهم مدنها قرطبة جيان واشبيلية ومالقة، وتشمل الولاية الثانية اسبانيا الوسطى من البحر المتوسط شرقًا إلى حدود لوزيتانيا (البرتغال الحالية) غربًا وتمتد حتَّى نهر دورو في الشمال واهم مدنها طليطلة ووادي الحجارة وبلنسية ودانية ومرسية وغيرها، وتشمل الولاية الثالثة جليقية ولوزيتانيا (البرتغال القديمة) وأهم مدنها ماردة وباجة ولشبونة وغيرها، وتشمل الولاية الرابعة المنطقة الممتدة من شاطئ نهر دورو إلى جبال البرينيه على شفتي نهر الأبرو وأهم مدنها سرقسطة طرطوشة، برشلونة، تطيلة، بلد الوليد ووشقة وغيرها، وعندما اتسعت الفتوحات الإسلامية أنشئت ولاية خاصة شمال البرينيه[1].

سمات عصر الولاة في الأندلس:

يتميز عصر الولاة في الأندلس بمجموعة من السمات أهمها:

- وصول الجيوش الإسلامية إلى ما وراء جبال البرت (البرينيه) حيث الأراضي الفرنسية ومدنه بون وليون وغيرها وإتمام الفتح الإسلامي في كامل بلاد الأندلس ماعدا منطقة أستوريش التي اعتصم بها القوط، وقاموا بتنظيم هجمات على المسلمين لدحرهم نحو الجنوب، ولعل أهم قادتهم في تلك المرحلة هو ألفونسو الأوَّل الذي وحَّد جبهة المقاومة النَّصرانيَّة ضدَّ المسلمين لأوَّل مرة عام 133هـ/750م.

1- محمَّد محمَّد زيتون، **المرجع السَّابق**، ص184-185.

– نشر الدِّين الإسلامي وتعاليمه السمحة في الأندلس، ودخول عدد معتبر من السكان المحليّين القوط في الإسلام.

– حرية الأديان حيث عاش غير المسلمين في الأندلس أحرار في عقائدهم.

– القضاء على نظام الطبقات الذي كان سائدًا في عهد القوط.

– الصراع العربي العربي بين القيسية واليمنية، وقد خلف ذلك اضطرابًا وفوضى كادت أن تقضي على تواجد المسلمين بالأندلس في المهد.

– اشتراط بني أمية أن يكون الوالي على الأندلس عربيًا وأن تكون قيادة الجيوش والوظائف الكبرى محصورة في عشيرتهم أو القبائل المتحالفة معهم.

– قيام البربر ببعض الثورات ضدَّ سياسة الولاة الجائرة.

– ضرب العملة الإسلامية والاهتمام بالبناء والتعمير حيث بنا الولاة المساجد والمدارس ودور العلم لنشر الإسلام.

– نشأة جيل المولدين نتيجة انخراط الفاتحين بالسكان الأصليّين القوط وانتشار الإسلام بصورة سريعة[1].

1– منى حسن محمود، **المرجع السَّابق**، ص17 وما بعدها ؛ محمَّد محمَّد زيتون، **المرجع السَّابق**، ص180 وما بعدها.

المحاضرة الخامسة: الإمارة الأمويَّة في الأندلس

1- تأسيس الإمارة:

في سنة 132هـ/749م تمكن العباسيون من إسقاط الخلافة الأمويَّة بدمشق في معركة الزاب الشهيرة، حيث قضوا على آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمَّد، وحاول العباسيون متابعة أفراد البيت الأموي الحاكم في كل مكان والقضاء عليهم نهائيًا، لكن واحد منهم وهو عبد الرَّحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية والذي يدعى عبد الرَّحمان الداخل كما يلقب بصقر قريش، تمكن من النجاة بنفسه والوصول إلى مصر ثمَّ بلاد المغرب التي أقام بها مدةً من الزمن ثمَّ انتقل إلى بلاد الأندلس فاستغل أوضاعها السِّياسيَّة المضطربة وقضى على والي العباسيِّين يوسف الفهري عام 138هـ/756م فبويع أميرًا جديدًا للأندلس في مدينة قرطبة التي اتخذها عاصمةً لدولته وهو ابن خمس وعشرين سنة[1].

2- نظام الحُكم والمذهب:

اتبع الأمويون في الأندلس منذ قيام دولتهم سنة 138هـ/756م إلى غاية سقوطها سنة 422هـ/1031م النظام الوراثي، حيث كان الحكم في نسل عبد الرَّحمان الداخل. وفيما يخص المذهب، فقد انتشر المذهب المالكي في الأندلس وحل محل المذهب الأوزاعي الدمشقي بسرعة كبيرة، ربما لقوة المذهب ذاته، وملائمته لأفكار كثير من النَّاس من ناحية، ومن ناحية أخرى يرجع

1- ابن الأثير: **الكامل في التَّاريخ**، راجعه وصحَّحه محمَّد يوسف الدَّقاق، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1987م، ط1، مج5، ص122 وما بعدها ؛ ابن عذارى، **البيان المُغرب**، ج2، ص40 وما بعدها ؛ عبد اللَّطيف عبد الهادي، **المرجع السَّابق**، ص77 وما بعدها ؛ عبد القادر قلَّاتي: **الدَّولة الإسلاميَّة في الأندلس من الميلاد إلى السُّقوط**، دار وحي القلم، دمشق، 2010م، ط1، ص22 وما بعدها.

إلى أسباب سياسية، حيث عمد الأمويون على مخالفة أعدائهم العباسيّين الذين اتبعوا المذهب الحنفي. كما كان لعلماء الأندلس الذين تتلمذوا على يد الإمام مالك في المدينة المنورة ثمَّ عادوا إلى بلادهم ونقلوا فقهه إليها الدور الكبير في نشره، أمثال زياد بن عبد الرَّحمان اللَّخمي المعروف بشبطون (توفي 204هـ/819م) وهو أوَّل من أدخل مذهب مالك للأندلس، والفقيه المحدث يحي بن يحي الليثي (توفي 234هـ/848م) الذي سماه الإمام مالك ب "عاقل الأندلس الرشيد"[1].

3- النظم الإدارية والعسكرية:

3-1- الوزارة والحجابة:

لم يلجأ الأمويون في الأندلس في عصر الإمارة إلى نظام الوزارة باختصاصاته التي يعرفها المشارقة، واعتمدوا على تسيير أمور دولتهم على رجال البيوت الشهيرة دون أن يمنحوهم ألقابًا بعينها، ولكن ظهور شخصيات بارزة جعل من الضروري أن تختص تلك الشخصيات بمهام وألقاب محددة، لهذا حمل قائد الجيوش "عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث" لقب الحاجب، وتولى كل اختصاصات رئيس الوزراء في المشرق، وأضحت الحجابة مثل رئاسة الوزراء وأصبح الحاجب الشخصية الثانية بعد الأمير، يرأس نحو عشرة وزراء ويعرض أعمالهم على الأمير[2].

1- عبد اللَّطيف عبد الهادي، **المرجع السَّابق**، ص309 وما بعدها ؛ عبد القادر قلَّاتي، **المرجع السَّابق**، ص48 وما بعدها.

2- حسين مؤنس، **المرجع السَّابق**، ص327.

وقد اهتم عبد الرَّحمان الأوسط بنظام الوزارة بشكل كبير، وخصَّص لها جناحًا ثابتًا في قصره[1]، وكان يلزم الوزراء بالحضور كل يوم، أو يخاطبهم برقاع فيما يراه من أمور الدَّولة[2]، وأكسبته خبرته في إدارة شؤون الحكم في حسن اختيار رجال الدَّولة الأكفاء مثل الوزراء وغيرهم[3].

3-2- القضاء:

من الخطط الكبرى في الأندلس كانت خطة القضاء، ويراد به قضاء الجماعة أو قضاء قرطبة، وصاحبها يشبه وزير العدل حاليًا، فهو لا يتولى قضاء قرطبة فقط بل يختار قضاة المدن الأخرى والأقاليم، وهو ينظر في شؤون القضاة ويراقب أعمالهم وله أن يعزل منهم من يريد ويقترح تولية القضاء من يريد، وكان قضاة العواصم الكبرى يعتبرون نوابًا له يرجعون إليه في أحكامهم[4].

وقاضي الجماعة هو الشخصية الثالثة بعد الأمير والحاجب، ولذا تطلب الأمر التدقيق عند اختياره، وكان أدنى خطأ ظاهر من القاضي يؤدي إلى عزله، وكان لقاضي الجماعة سلطة على الأمير نفسه في مسائل العدالة، وكان من واجباته أن يحول دون ارتكاب رجال القصر وكبار الموظفين للمخالفات، ولهذا كان القاضي رجلًا موهوب الجانب. ورغم مكانته المرموقة، فإن الكثيرين لم يرغبوا في شغل هذا المنصب، لأنهم قد يجدون حرجًا في أداء وظيفتهم ضد كبار الموظفين أو مع أمير لا ترضيه أعمالهم الحريصة على العدالة وحدها[5].

1- عبد القادر قلَّاتي، **المرجع السَّابق**، ص60.

2- ريما محمَّد درنيقة، **المرجع السَّابق**، ص38-39.

3- عبد اللَّطيف عبد الهادي، **المرجع السَّابق**، ص122.

4- حسين مؤنس، **المرجع السَّابق**، ص329.

5- حسين مؤنس، **المرجع السَّابق**، ص330 ؛ محمَّد حسن العيدروس: **العصر الأندلسي، تاريخ وحضارة الأندلس، النظم الإدارية في إسبانيا الإسلامية**، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2012م، ط1، ص49.

3-3- الفقهاء المشاورون:

وكان هناك إلى جانب الأمير دائمًا عدد كبير من الشيوخ ذوى العلم الواسع والخلق المتين والدين القويم يسمون بالفقهاء المشاورين، أي الذين يستشيرهم الأمير في كبار شئونه، وخاصة الدينية منها. وقد ابتدع فقهاء المالكية هذه الخطة لأنَّهم في محاولتهم إتباع آثار الإمام مالك بن أنس كانوا يرفضون تولى القضاء أو الوظائف العامة مكتفين بالانصراف إلى العلم والتدريس وإفتاء الناس فيما يعرض لهم من مشاكل. وكان العزوف يرفع مقامهم في أعين الناس. ولم يكن عزوف هؤلاء الفقهاء عن تولي الوظائف تعبيرًا عن عدم الرضا عن البيت الأموي لأنهم في الحقيقة كانوا يؤيدونه، ولكنهم كانوا يسيرون في هذا في آثار مالك الذي لم يتول وظيفة ما وعاش للعلم والتعليم، وقد أراد الأمراء أن يفيدوا من مكانة أولئك الفقهاء الكبار في نفوس الناس فقربوهم إليهم، واختاروا من بينهم عددًا من أوسعهم علمًا وجعلوهم فقهاء مشاورين، وكانوا يعتبرونهم أهل شورى لهم، وكانت مراكزهم تعدل مراكز الوزراء[1].

3-4- الجيش والأسطول:

اهتم الأمويون بالجانب العسكري وأعدوا الجيوش وجهزوا الأساطيل من أجل حماية حدود دولتهم من خطر الممالك النَّصرانية في شمال الأندلس، وقد عنى عبد الرَّحمان الداخل بتنظيم الجيش أشد عناية، وحشد له المتطوعة والمرتزقة من سائر الطوائف، وبلغت قواته يومئذ نحو مائة ألف مقاتل، عدا الحرس الخاص الذي يتكون من الموالي والبربر والرقيق، وقد بلغت قواته حوالي أربعين ألفًا. ووضع عبد الرَّحمان الداخل أيضًا نواة الأسطول الأندلسي بما أنشأ من قواعد لبناء السفن في بعض الثغور النهرية والبحرية، ولكن بداية قيام الأسطول الأندلسي الفعلية ترجع إلى ما بعد ذلك

1- حسين مؤنس، **المرجع السَّابق**، ص330.

بنحو نصف قرن، حينما فاجأ النورمانيون الأندلس بغزو الثغور الغربية، ثمَّ بغزو إشبيلية، والفتك بأهلها وكان ذلك في سنة 230هـ/844م في عهد عبد الرَّحمان الأوسط، فعندئذ أدركت الحكومة الأندلسية وجوب العناية بالأسطول والتحصينات العسكرية البحرية، وكانت أكبر دور الصناعة لإنشاء السفن في مياه الوادي الكبير تجاه إشبيلية[1].

المحاضرة السادسة: الخلافة الأموية والدَّولة العامرية في الأندلس

1- إعلان الخلافة:

لم يتجرأ أي أحد من الأمراء الأمويّين في الأندلس على إعلان نفسه خليفة، أي التلقب بألقاب الخلافة المعروفة في بلاد المشرق الإسلامي، وهو لقب أمير المؤمنين، رغم وجود أمراء أقوياء وذو شهرة كبيرة جدًا أمثال مؤسَّس الإمارة عبد الرَّحمان الداخل والذي حكم مدَّة طويلة بلغت ثلاثة وثلاثون سنة (138-171هـ)/(756-788م) وعبد الرَّحمان الأوسط الذي حكم هو الأخر فترة طويلة بلغت اثنتين وثلاثون سنة (206-238هـ)/(821-852م). ويذكر ابن خلدون أنَّ بني أمية لم يتلقبوا بألقاب الخلافة لأنَّهم لا يملكون الحجاز (الحرمين الشريفين) ولبعدهم عن دار الخلافة التي هي مركز العصبية[2]. بينما يقول الباحث محمَّد عبد الله عنان أنَّ هذا الإحجام

1- محمَّد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأوَّل- القسم الثَّاني- الخلافة الأمويَّة والدَّولة العامريَّة**، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، ط4، ص687.

2- ابن خلدون: **مُقَدِّمَة ابن خلدون، وهي الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمَّى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001م، ص284.

يرجع بالأخص إلى بواعث الحكمة والسياسة، والتحوط من إثارة الفتن والخلافات الدينية والمذهبية[1].

وحينما تولى الحكم الأمير عبد الرَّحمان الثالث سنة 300هـ/912م وبعد ستة عشر سنة من إمارته، وبالتحديد في يوم الخميس لليلتين خلتا من ذي الحجة سنة 316هـ/أوائل سنة 929م تلقب بلقب أمير المؤمنين وأعلن نفسه خليفة واتخذ لقب النَّاصر لدين الله، وعُرف باسم عبد الرَّحمان الناصر، وكتب رسالة في ذلك أرسلت إلى جميع عمال دولته في الأندلس[2]، وأرسلت منه نسخ إلى إفريقية والمغرب[3]، وطلب من القاضي أحمد بن بَقِيّ وهو صاحب الصلاة في مدينة قرطبة بأن يعلن ذلك ويخاطبه بهذا اللقب في خطبة الغد من يوم الجمعة. ورأى الخليفة الناصر أنَّه أحق الحكام آنذاك بهذا اللقب وغيره لا يستحق هذا اللقب، ويتبين ذلك من بعض ما جاء في رسالته حيث قال "إذ كلُّ مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له، ودخيل فيه، ومُتَّسَمٌ بما لا يستحقُّه"[4].

ويذكر ابن الأبَّار في هذا الشأن أنَّ النَّاصر تلقب بهذا اللقب "لما ضعف سلطان بني العباس في المشرق، وغلبت عليهم الأتراك، وادعت الشيعة ما شاءت بإفريقية، وأصبح النَّاس في الآفاق فوضى"[5]. ويوافق ابن خلدون، ابن الأبَّار في جزء من كلامه حيث قال أنَّ النَّاصر أعلن

1- **الخلافة الأموية والدولة العامرية**، ص429.

2- عن نص الرسالة. (انظر: ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج2، ص198-199).

3- عبد اللَّطيف عبد الهادي، **المرجع السَّابق**، ص168.

4- ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج2، ص198.

5- **الحُلَّة السِّيراء**، حقَّقه وعلَّق حواشيه حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ط2، مج1، ص198.

نفسه خليفة لما رأى ما نال الخلافة العباسية في المشرق من الحجر واستبداد الموالي وعيثهم في الخلفاء بالعزل والاستبدال والقتل والسَّمْلِ[1].

وبإعلان عبد الرَّحمان النَّاصر نفسه خليفة في الأندلس، أصبحت خلافة إسلامية عامة مساوية لخلافة بني العباس في بغداد ومتولية شؤون الإسلام في الجناح الغربي لدولة الإسلام من دون العُبيديِّين (الفاطميِّين)[2].

وسمح هذا اللقب لعبد الرَّحمان الناصر بأن يحيط نفسه بطابع السمو الملكي، وبهالة من الهيمنة السياسية والروحية، فأصبح يتمتع بسلطات مطلقة، وأضحت قراراته مبرمة لا تقبل المراجعة[3].

ولقد استمر لقب خليفة أو أمير المؤمنين ساري المفعول عند جميع الحكام الأمويِّين الذين أتوا بعد عبد الرَّحمان الناصر وإلى غاية سقوط خلافتهم في الأندلس بصفة نهائية[4].

2- مراحل الحُكم الأموي في الأندلس:

تُقسم فترة حكم الأمويون في الأندلس إلى ثلاثة مراحل رئيسية: فالأولى هي مرحلة الإمارة من (138-316هـ)/(756-928م) والثانية هي مرحلة الخلافة (316-366هـ)/(928-977م) أما الثالثة فهي مرحلة الدَّولة العامريَّة والسقوط (366-422هـ)/(977-1031م)[5].

1- **مقدمة ابن خلدون**، ص284.

2- عبد اللَّطيف عبد الهادي، **المرجع السَّابق**، ص168-169.

3- ريما محمَّد درنيقة، **المرجع السَّابق**، ص46.

4- **مقدمة ابن خلدون**، ص284 ؛ ريما محمَّد درنيقة، **المرجع السَّابق**، ص46.

5- عبد اللَّطيف عبد الهادي، **المرجع السَّابق**، ص75 وما بعدها.

ويعتبر عهد الأمويّين في الأندلس الذي استمر حوالي ثلاثة قرون أزهى فترات حكم المسلمين في هذه البلاد حيث عرفت هذه الدَّولة تطورًا كبيرًا في جميع الجوانب السَّياسيَّة، العسكريَّة، الدينيَّة الاجتماعية، الاقتصاديَّة والفكريَّة.

3- النظم الإدارية والعسكرية:

3-1- الوزارة والحجابة:

استحدث الأمويون في أيام الخليفة المستظهر، بالوزارة، عدة خطط جديدة مثل خطة خدمة المدينتين الزهراء والزاهرة، وخدمة كتابة التعقب والمحاسبة، وخدمة الحشم، وخدمة مواريث الخاصة، وخدمة الطراز، وخدمة المعالي، وخدمة الأسلحة، وخدمة الخزانة، وخدمة الوثائق، ورفع كتب المظالم، وخدمة خزانة الطب والحكمة، وخدمة أحكام السوق[1].

وبالنسبة لمنصب الحجابة فقد تجلى أكثر فأكثر في أواخر العهد الأموي، حينما تولى المنصور بن أبي عامر لقب الحجابة، واستأثر بالسلطة الفعلية ولم يكن الخليفة هشام المؤيد سوى يد لينة يوجهها كيف يشاء[2]. وبلغت به الجرأة بأن اتخذ سنة 386هـ/996م لنفسه لقب الملك وأصدر أمره بأن يخاطب بالملك الكريم المنصور[3].

وقد ظهرت في عهد الدَّولة العامرية بدعة جديدة هي إسناد الحجابة إلى الأطفال، فقد استصدر الحاجب عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر أمرًا من الخليفة هشام المؤيد المغلوب على

1- محمَّد عبد الله عنان، **الخلافة الأموية والدولة العامرية**، ص686 ؛ محمَّد حسن العيدروس، **المرجع السَّابق**، ص49.

2- محمَّد عبد الله عنان، **الخلافة الأموية والدولة العامرية**، ص535-536.

3- حسين مؤنس، **المرجع السَّابق**، ص397.

أمره بتعيِّين ولده الطفل محمَّد في منصب الحجابة ولقبه بذي الوزارتين[1]، وعيَّن عبد الرَّحمان بن المنصور بن أبي عامر ولده الطفل عبد العزيز في منصب الحجابة، وأسبغ عليه لقب سيف الدَّولة[2].

3- 2- الشرطة:

كانت من أهم المناصب الإدارية المتعلقة بضبط النظام والأمن، وكانت قبل عهد الخليفة عبد الرَّحمان الناصر تنقسم إلى مرتبتين، الشرطة العليا، والشرطة الصغرى، ولكنها منذ سنة 317هـ/929م في عهد الناصر، قُسمت حسب أهميتها إلى ثلاث مراتب: الشرطة العليا، والشرطة الوسطى والشرطة الصغرى، وقد رتب رزق الشرطة الوسطى، وسطًا بين رزقي العليا والصغرى، وكان أوَّل من تقلدها سعيد بن سعيد بن حيدر[3].

3-3- الجيش والأسطول:

بذل الخليفة عبد الرَّحمان النَّاصر جهودًا عظيمة لإصلاح الجيش وتقويته، ومده بالأسلحة والعتاد الوفير، وعنى في الوقت نفسه بأمر الأسطول، فأنشأ له وحدات جديدة، وجعل مركزه الرئيسي ثغر المرية، وأنشأ بها أعظم دار للصناعة، وبلغ الأسطول الأندلس في عهده زهاء مائتي سفينة مختلفة الأنواع والأحجام، بالإضافة إلى أسطول آخر خصص لشئون المغرب البحرية[4].

وأنشأ الحاجب المنصور بن أبي عامر قوة عسكرية هائلة، أغلبها من البربر، والكثير من المرتزقة النَّصارى، ومعظمهم من المستعربين، وقد بلغ عدد فرسان جيشه اثنا عشر ألف ومائة فارس

1- محمَّد حسن العيدروس، **المرجع السَّابق**، ص49.

2-محمَّد عبد الله عنان، **الخلافة الأموية والدولة العامرية**، ص686.

3- **نفسه**، ص685.

4- محمَّد عبد الله عنان، **الخلافة الأموية والدولة العامرية**، ص688.

وبلف عدد الرجالة (المشاة) في الجيش المرابط ستة وعشرين ألف مقاتل، ويتضاعف الجيش المرابط في الصيف، وقد بلغ عدد الفرسان في بعض الصوائف ستة وأربعين ألفًا، وتضاعف المشاة لحوالي مائة ألف أو تزيد[1].

وكان المنصور يغزو الصَّليبيِّين في كل عام غزوتين، في الربيع وفي الخريف طيلة مدة استئثاره بالحكم لخمسة وعشرين سنة، وكان يتولى الغزو بنفسه، ولم يهزم قط في الخمسين غزوة التي غزاها ممَّا زاد من رصيده لدى رعيته[2].

المحاضرة السابعة: العلاقات السياسية بين أموي الأندلس ودول المغرب والممالك النصرانية

1- العلاقات مع دول المغرب:

تراوحت علاقة الأمويِّين[3] في الأندلس بدول المغرب الإسلامي بين الود والعداء، فهناك دولًا صديقة، وأخرى معادية لهم. فلم يكن الاختلاف المذهبي والبعد الجغرافي حائلًا دون وجود صلات ودية بينها وبين الدَّولة المدرارية جنوب المغرب الأقصى، فقد جمعهما العداء المشترك للخلافة العباسيَّة، الأدارسة والأغالبة، وسمح التقارب السِّياسي بينهما بوجود علاقات تجارية بحرية

1- محمَّد عبد الله عنان، **الخلافة الأموية والدولة العامرية**، ص688.

2- **الموسوعة الميسرة في التَّاريخ الإسلامي**، تقديم راغب السرجاني، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2005م، ط1، ص392.

3- أشير إلى أنَّني أتحدث في هذه المحاضرة عن علاقة الأمويِّين مع دول المغرب والممالك النَّصرانيَّة في جميع فترات حكمهم في الأندلس، أي في عهد الإمارة والخلافة وفي العهد العامري.

متينة تربط موانئ الأندلس في البحر الرومي (البحر الأبيض المتوسط) بموانئ بني مدرار في بحر الظلمات (المحيط الأطلسي)[1].

وبالنِّسبة لعلاقتهم بالرستميّين في المغرب الأوسط، فقد كانت علاقة ودية، على اعتبار أنَّهما يملكان عدوًا مشتركًا وهم العباسيون، وقد قامت بين قرطبة وتيهرت علاقات تجارية وكانت السفن تتردد على مدينتي وهران والمرية، وكانت تيهرت تضم جالية كبيرة من أهل الأندلس، وكان لأفلح بن عبد الوهاب مع أمراء بني أمية مودة كبيرة حيث كانوا يتبادلون الهدايا النَّفيسة[2].

وعن علاقة الأمويّين بدولة الأدارسة شمال المغرب الأوسط، فقد اتسمت هي الأخرى بالطابع العدائي على العموم نتيجة العداء الموروث في المشرق بين الأمويّين والعلويّين، ورغم ذلك لم يحدث التَّصادم الحربي بينهما لأنَّهما يملكان عدوًا مشتركًا وهو الخلافة العباسيَّة بالمشرق وحليفتهم دولة الأغالبة بالمغرب الأدنى، فكلا الدَّولتين خضعتا لسياسة الاعتراف بالأمر الواقع واقتصرت مظاهر العداء بينهما على حيك المؤامرات والمكائد والتَّجسس وتشجيع المنتزين، وقد حرص الطرفين رغم ذلك على توطيد العلاقات الاقتصادية إذ حرص أمويو الأندلس على أن تظل أسواق المغرب الأقصى مفتوحة أمام بضائعهم، فضلًا عن الفوز بنصيب من تجارة السودان الغربي عن طريق تجار الأدارسة[3].

1- محمود إسماعيل عبد الرزاق: **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1985م، ط2، ص128 وما بعدها.

2- عصام الدِّين عبد الرؤوف الفقي: **تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، د.ت، ص157.

3- محمود إسماعيل: **الأدارسة (172-375هـ) حقائق جديدة**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م، ط1، ص149 وما بعدها.

وفيما يخص علاقة الأمويّين بدولة الأغالبة في المغرب الأدنى الموالية للخلافة العباسية،فهي امتدادًا لعلاقة العباسيّين بالأمويّين، فقد تميزت بالعداء الشديد وصلت إلى حد الإغارة على أملاك الأغالبة وتخريب مدنها، وإن كنا مع ذلك نذكر مساعدة أسطول الأمويّين في الأندلس للأغالبة أثناء فتح صقلية[1].

وكانت علاقتهم مع الدَّولة العُبيديَّة (الفاطمية) في المغرب الإسلامي، علاقة عداء وحرب أيضًا، نتيجة الاختلاف المذهبي فالعُبيديّين شيعة روافض والأمويّين سُنة، وكانت بلاد المغرب الإسلامي ميدان للصراع بين الدَّولتين، حيث عملت كل دولة على استمالة القبائل البربرية إلى صفها خاصةً قبيلة زناتة غرب المغرب الإسلامي. وحاول كل من الطرفين إرسال دعاته ورجاله للتَّعرف على مواطن الضعف في البلد الآخر، وعمل العُبيديّين (الفاطميّين) على فتح أبواب المهدية والقيروان أمام اللاجئين الأندلسيّين، وتشجيع الثوار في الأندلس ومساندتهم، فأيدوا الثائر الأندلسي عمرو بن حفصون إذ أمده الخليفة عُبيد الله المهدي بالهدايا والذخيرة والأسلحة[2].

2- العلاقات مع الممالك النصرانية:

فيما يخص علاقة الأمويّين بالممالك النَّصرانية في شمال الأندلس وكذلك الدول الأوروبية فقد تراوحت بين السِّلم والعداء، ولكن يغلب عليها طابع العداء وقد وقعت بينهما حروب عديدة، ولكن لم تمنع هذه الحروب على وجود علاقات ودية فقد حرس الأمويون على عدم الاعتداء عمومًا والاستعداد لعروض الصداقة، وقد وردت أحيانًا من الممالك النَّصرانيَّة سفارات

1- محمَّد محمَّد زيتون، **المرجع السَّابق**، ص136-137.

2- سامية مصطفى مسعد: **العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأمويَّة (300-399هـ/912-1008م)، عين للدِّراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية**، 2000م، ط1، ص79 وما بعدها.

ودية محملة بالهدايا وبادلهم الأمويون بدورهم الهدايا، وتوسطت بعض الدول الأوروبية كألمانيا لدى الأمويون في حل بعض المشاكل كتلك السفارة الألمانية التي أرسلها أوتو الأوَّل (Otto I) إلى عبد الرَّحمان الناصر لكبح جماح الأندلسيِّين في دولة جبل القِلال (فراكسنيتوم) جنوبي فرنسا، وفي سنة 365هـ/975م قدمت إلى قرطبة سفارة ترأستها أم لذريق بن بلاكش (Rodrigo Velazquez) أحد حكام غرب جلِّيقية فأكرمها الخليفة الحكم المستنصر غاية الإكرام حيث خرج لتلقِّيها واحتفل لقدومها في يوم مشهود، فوصلها وأسعفها وعقد السِّلم لابنها كما رغبت وأحبت، ودفع لها مالًا تقسِّمه بين وفدها، وحُملت على بغلة فارهة بسرج ولجام مثقلين بالذهب والفضة ومِلْحَفة ديباج[1].

المحاضرة الثامنة: نهاية الخلافة الأموية في الأندلس

استعادت الخلافة الأموية في الأندلس بقيادة المنصور بن أبي عامر، قوتها وهيبتها ومكانتها من جديد، ولكن بعد وفاته سنة 392هـ/1002م[2] تغير الوضع، وبدأ الضعف يدب شيئًا فشيئًا في أركان الخلافة، فقد تولى أمر الحجابة بعده ولديه عبد الملك ثمَّ عبد الرَّحمان شنجول، وقد طلب هذا الأخير من هشام بن الحكم أن يجعله وليًا لعهده، فأجابه الخليفة هشام لضعفه، فكان ذلك سببًا في خروج أكابر الدَّولة عليه وقاموا بخلعه ومبايعة محمَّد بن هشام الملقب بالمهدي خليفة عليهم وكانت الدَّولة في عهده في حالة ضعف شديد وفوضى، فتمت تصفيته سنة

1- عبد الرَّحمان علي الحجي: **التَّاريخ الأندلسي من الفتح حتَّى سقوط غرناطة (92-897هـ/711-1492م)**، دار القلم، بيروت، 1981م، ط2، ص318 وما بعدها.

2- عبد القادر قلَّاتي، **المرجع السَّابق**، ص90.

400هـ/1010م ومبايعة هشام بن الحكم مرة أخرى واستمر الضعف والاضطراب في البيت الأموي إلى غاية سقوطها نهائيًا سنة 422هـ/1031م[1].

بالإضافة إلى الصراع على الحكم داخل البيت الأموي، هناك أسباب عديدة أدت إلى سقوط الخلافة الأموية أهمها:

- انحراف بعض الخلفاء إلى حياة المجون واللهو والانغماس في الملذات، وترك أمور الدولة يسوسها أناس ظالمون[2].

- غياب القائد والأداة القادرة على الحسم في الوقت المناسب في أواخر العهد الأموي، فالأندلس في تلك الفترة كانت بحاجة إلى أمثال عبد الرَّحمان الداخل الذي أسَّس الدَّولة الأموية وإلى أمثال عبد الرَّحمان النَّاصر الذي بنا مجدها الحضاري.

- الفصل بين السلطتين الروحية والزمنية، وقد تجلى ذلك بوضوح في خلافة هشام المؤيد، حيث سيطر على الحكم الحاجب المنصور بن أبي عامر وأبناؤه، وانتزعوا السلطة الزمنية لأنفسهم، وتركوا الخلافة مجرد رمز لا معنى له في الأصل.

- التركيبة الاجتماعية للأندلس، أهلها يؤلفون أخلاطًا متنافرة من السكان، بربر، عرب، صقالبة مولدون، مستعربون، ويهود. وكان كل من هذه العناصر البشرية ميالًا للسكن في بؤرات عمرانية خاصة، فكان لهذا أثره الكبير في ميل أهل الأندلس إلى الاستقلال والخروج على السلطة المركزية

1- محمَّد عبد الله عنان، **الخلافة الأمويَّة والدَّولة العامريَّة**، ص482 وما بعدها.

2- ريما محمَّد درنيقة، **المرجع السَّابق**، ص57.

كلما رأوا استبدادًا منها أو تعسفًا في معاملتها لهم، مما كان يقضي باستعمال القوة كوسيلة لازمة للوحدة السِّياسية.

– الاستعانة بأمراء وملوك الممالك النَّصرانية في الشمال،فقد أفضت المنازعات والفتن بين المسلمين إلى الاستعانة بملوك النَّصارى ضدَّ بعضهم البعض، مقابل التنازل عن بعض الحصون والقلاع والمدن الحدودية المهمة لهؤلاء الملوك. ومن الحصون التي تمَّ التنازل عنها حصن غرماج وأوشمة، وشنت اشتبين وغيرها[1].

المحاضرة التاسعة: دويلات الطَّوائف الأولى في الأندلس

ظهرت دويلات الطوائف الأولى في الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية سنة 422هـ/1031م[2] حيث أستقل كل أمير أو وزير أو قاض بمدينة من المدن وأعلن نفسه حاكمًا عليها، والتفت هذه الدويلات إلى محاولة التَّوسع على حساب أراضي وممتلكات المدينة المجاورة مستعينةً بالنصارى الصَّليبيّين، فولَّد كل هذا صراعًا وعداءً انتهى في كثير من الأحيان إلى معارك وحروب، ويعد هذا العهد من تاريخ الأندلس أكثر الفترات تعقيدًا وتشابكًا واضطرابًا[3].

1- عبد القادر قلّاتي، **المرجع السَّابق**، ص95-96.

2- ابن الوردي: **تاريخ ابن الوردي** – أو- **تتمة المختصر في أخبار البشر**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1996م، ط1، ج1، ص319 ؛ علي حبيبة: **مع المسلمين في الأندلس**، مكتبة الشباب، مطابع سجل العرب، مصر، 1972م، ص229.

3- محمَّد سهيل طقوش: **تاريخ المسلمين في الأندلس 91-898هـ/710-1492م**، دار النفائس، بيروت، 2008م، ص427.

وتلقَّب هؤلاء الأمراء المتغلبون بألقاب الخلافة كالمتوكّل والمعتضد والمعتمد والمستعين وغيرها[1] فجلب لهم ذلك هجاء الشعراء حيث وصفهم ابن رشيق القيرواني ساخرا منهم بقوله:

مِمَّا يُزْهِدُنِي فِي أَرْضِ أَنْـدَلُسٍ سَمَـاعُ مُـقْتَـدِرٍ فـيهـا و مُـعْتَـضِـدِ

أَلْقَابُ مَمْلَكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا كالهِرِّ يَحكِي انتفَاخًا صَوْلَةَ الأَسَدِ[2]

وقد بلغ عدد دويلات الطوائف الأولى في الأندلس حوالي ثلاثة وعشرون دويلة، تتفاوت فيما بينها من حيث القوَّة والضُّعف برزت منها سبع دول رئيسية غلبت على جميع الدُّويلات الأخرى أو تحالفت معها، وتتمثل هذه الدويلات في دولة بني ذي النون بطليطلة، دولة بني جهور بقرطبة، دولة بني عباد بإشبيلية، دولة بني هود بسرقسطة، دولة بني الأفطس ببطليوس دولة بني زيري بغرناطة دولة بني عامر ببلنسية وغيرها من الدُّول[3].

1- سقوط طليطلة:

الملفت للنظر في تاريخ الأندلس الإسلامية في تلك الفترة،أنَّها كانت في حالة تمزق وصراع بينما كانت الممالك النَّصرانيَّة في شمال الأندلس في حالة وحدة وقوة بزعامة ملكهم القشتالي

1- وصف ابن جُبير في رحلته سلاطين مدينة دنيصر القريبة من مدينة الموصل بالعراق بأوصاف مذمومة وشبههم بأمراء الطَّوائف في الأندلس حيث قال: كلهم قد تَحَلَّى بحليةٍ تُنسب إلى الدِّين، فلا تسمع إلَّا ألقابًا هائلة، وصِفات لِذي التَّحصيل غير طائلة، قد تساوى فيها السوقة والملوك، واشترك فيها الغني والصعلوك، ليس فيهم من اتَّسم بسمة به تليق، أو اتَّصف بصفة هو بها خليق). (انظر:**رحلة ابن جُبير**، دار صادر، بيروت، د.ت، ص216).

2- المرَّاكشي، **المُعجب**،ص53؛ ابن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزَّمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، تحقيق لجنة من كتابة الدَّولة للشؤون الثقافيَّة والأخبار، الدار التونسيَّة، تونس، 1976م، ج1، ص69-70 ؛ شكيب أرسلان: **الحُلل السُّندسيَّة في الأخبار والآثار الأندلسيَّة**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ج1، ص248.

3- ابن بلكين: **مذكرات الأمير عبد الله**– أو –**كتاب التِّبيان**، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، 1988م، ص16 وما بعدها ؛ المرَّاكشي، **المُعجب**، ص44 وما بعدها.

ألفونسو السَّادس الذي راح يهدد دويلات الطوائف بالسقوط والفناء، وشن عليهم حروبًا طاحنة عُرفت بحروب الاسترداد أو الحروب الصَّليبيَّة، وقد تكللت مساعيه بالنَّجاح عندما احتل مدينة طليطلة يوم 27محرم سنة 478هـ/25 ماي 1085م[1]، وبذلك سقطت إحدى حواضر بلاد الأندلس الكبرى وقلاعها الحصينة، واسترجع النَّصارى عاصمة القوط القديمة بعد أن حكمها المسلمون حوالي أربعة قرون[2].

وكان سقوطها نذيرًا بوقوع كامل بلاد الأندلس في أيدي النَّصارى، حيث اشتدَّ الخطر على المسلمين أكثر من ذي قبل بتعاظم حركة الاسترداد، وتحمس النَّصارى بقيادة ألفونسو السَّادس لطرد المسلمين نهائيًا من الأندلس، كما كان لسقوطها وقعٌ كبيرٌ في جميع أنحاء العالم الإسلامي وأدرك المسلمون أنَّ إخوانهم في الأندلس يعيشون مأساة حقيقية، وقد اجتهد الشُّعراء في وصف هذه المأساة، منهم الشَّاعر الأندلسيّ عبد الله بن فرج اليحصبي المشهور بابن العسال بقوله:

يا أهلَ أندلس حُثُّوا مَطيَّكمُ فما المقامُ بها إلَّا من الغلطِ

الثوبُ يُنسلُ من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولًا من الوسطِ

ونحن بينَ عدوٍّ لا يفارقنا كيف الحياة مع الحيَّاتِ في سفطِ[3]

1- ابن الأبَّار، **التَّكملة لكتاب الصِّلة**، تحقيق الفريد بل، وابن أبي شنب، المطبعة الشرقيَّة، الجزائر، 1919م، ص29 ؛ المقري:**نفحُ الطِّيب منغصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت، 1408هـ/1988م، مج4، ص352 ؛ ج.س.كولان: **الأندلس**، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلاميَّة إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1980م،ط1، ص132.

2 - Jean Brignon et autres: **Histoire du Maroc** , librairie Nationale, Casablanca, 1967, p90

3- ابن خلكان: **وَفياتُ الأعيانِ وأنباءُ أبناءِ الزمانِ**، تحقيق إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت، 1994م، مج7، ص28 ؛ المقرِّي، **نفح الطِّيب**، مج4، ص352.

ويعتبر سقوط طليطلة من بين الأسباب التي عجلت بطلب أمراء الطوائف النجدة من المرابطين، حيث رأوا فيهم السَّبيل إلى النَّجاة من خطر النَّصارى[1].

2- طلب النجدة من المرابطين:

لم يكن سقوط طليطلة وبالًا على أهلها فحسب، بل عمَّ الوبال كافة بلاد الأندلس بتعاظم الخطر والبلاء وتفشي الرعب والخوف لدى الحاكم والمحكوم، فأدى ذلك إلى مسارعة أمراء الطَّوائف لخطب ود ألفونسو السَّادس بالمبالغة في دفع الإتاوات والهدايا[2]، ولكن هذا الأخير اغتر بنفسه وشعر أنَّه أضحى قادرًا على تحدي دول الطَّوائف جميعًا والقضاء عليها، فلم يقنع بضرائب المال[3]، بل أراد امتلاك أراضيهم ومدنهم[4]، فتطاول على الثُّغور،وقام بشنِّ الغارات على جميع بلاد الأندلس واستولى على الأراضي الواقعة على ضفتي نهر تاجة، وعلى قلعة رباح، ومدينة قورية وحاصر سرقسطة ورفض الأموال السَّخيَّة التي عرضها صاحبها عليه[5]، وهدَّد بطليوس وصاحبها المتوكِّل بن الأفطس الذي أرسل إليه يطلب منه أن يُسلِّمه بعض الحصون والقلاع المتاخمة لحدوده

---

1 - Lévi –Provençal **: Islam D'occident**, librairie Orientale et Américaine, Paris, 1948, p111.

2- من بين هؤلاء الأُمراء الذين قَدَّمُوا الهدايا لألفونسو السَّادس حسام الدَّولة يحي بن رزين صاحب شنتمريَّة، تحوي تحفًا وحُليًا يعجز عنها الوصف، فكافأه عليها ألفونسو بقردٍ شماتةً فيه، وكان من ضعف عقله أنَّه يفخر بذلك القرد على أمراء الأندلس. (انظر: شكيب أرسلان، **الحُلل السُّندسيَّة**، ج2، ص103).

3- ابن الأبَّار، **الحُلَّة السِّيَرَاء**، حقَّقه وعلَّق حواشيه حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ط2، ج2، ص98.

4- كان ألفونسو السَّادس يطمح إلى الاستيلاء على مدن الأندلس الكبرى خاصة قرطبة، والدليل على ذلك ما قاله المقري بأنَّ ألفونسو عندما استولى على طليطلة قِيل له ينبغي عليك أن تلبس التاج كمن كان قبلك في هذا الملك، فقال "لا حتَّى نأخذ قُرطبتهم". (انظر: **نفح الطِّيب**، مج4، ص447-448). (انظر أيضًا:عادل سعيد بشتاوي: **الأمة الأندلسيَّة الشهيدة (تاريخ 100 عام من المواجهة والاضطهاد بعد سقوط غرناطة)**، دار صبح للطِّباعة، بيروت، 2000م، ط1، ص109).

5- حسن أحمد محمود: **قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص255.

مع تأدية الضَّريبة، فرفض المتوكِّل التهديد ورد عليه برسالة تفيض شجاعة ونبلًا، ولمَّا رأى أنَّه غير قادر على مدافعة ألفونسو ومجاراته لوحده بعث برسالة[1] إلى الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين يُصوِّر له محنة الأندلس ويستنصره على عدوه ملك قشتالة[2]، وقد وعده الأمير يوسف بالجواز والإمداد على العدوِّ[3].

ولم يكتف ألفونسو السَّادس بتهديد مدن الثغور كسرقسطة وبطليوس فحسب بل قام بتهديد باقي المدن مثل قرطبة وإشبيليَّة اللَّتين يحكمهما أقوى ملوك الطَّوائف المعتمد بن عبَّاد ويبدو أنَّ ألفونسو أدرك بأنَّ الاستيلاء عليهما يمهِّد له الطَّريق لتملك كافة بلاد الأندلس فسارع للضَّغط على المعتمد بن عبَّاد بأن طلب منه أن يتخلى له عن معاقل وحصون على الحدود كان الموت عنده أولى من إعطائها[4]، وبعث له برسالة[5] فيها تهديد ووعيد إن لم يرضخ لمطالبه،فرد عليه المعتمد برسالة بيَّن فيها أنَّه لن يرضخ لأوامره وسوف يقف له بالمرصاد[6].

1- عن نص رسالة المتوكِّل بن الأفطس إلى الأمير يوسف بن تاشفين. (انظر: مجهول: **الحُلل الموشيَّة في ذكر الأخبار المُرَّاكشيَّة**، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرَّشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979م، ط1، ص33 وما بعدها).

2- يبدو أنَّ المتوكِّل بن الأفطس هو أوَّل من ناشد المرابطين بالقُدوم للأندلس، لأنَّ ألفونسو السَّادس بدأ حربه على بطليوس مملكة ابن الأفطس الواقعة على الحدود مع النَّصارى فمن الطبيعي أن يطلب النَّجدة قبل غيره من الأمراء لأنَّ الخطر كان محدقًا به قبلهم. (انظر: ابن الأبَّار، **الحُلَّة السِّيَرَاء**، ج2، ص99، هامش1).

3- مجهول، **الحُلل الموشيَّة**، ص36.

4- ابن بلكين، **التِّبيان**، ص102.

5- عن نص الرِّسالة التي تحمل التَّهديد والوعيد من ألفونسو السَّادس إلى المعتمد بن عبَّاد. (انظر: مجهول، **الحُلل الموشيَّة**، ص38-39).

6- عن نص الرِّسالة التي تحتوي رد المعتمد بن عبَّاد على ألفونسو السَّادس. (انظر: ابن سماك العاملي: **الحُلَلُ المَوْشِيَّة في ذكر الأخبار المرَّاكشيَّة**، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 2010م، ط1، ص92-93).

ويبدوا أنَّ المعتمد قد أدرك أخيرًا الخطأ الذي وقع فيه عندما لم يُقدم يد العون لنجدة طليطلة، فقد دارت الدائرة عليه بأن أصبح ألفونسو يهدِّد مُلكه بالزوال؛ كما قام بمحاولة إذلاله بأن طلب منه أن يسمح لزوجته القمطيجة دخول جامع قرطبة لكي تلد فيه[1]، وأرسل أيضًا وفدًا من خمسمائة فارس برئاسة اليهودي ابن شليب لأخذ الإتاوة[2] فأذعن المعتمد للأمر وأعطى رسول ألفونسو الأموال لكن ابن شليب رفضها بحجة أنَّ الذهب الذي أعطي إليه غير نقي[3]، وأغلظ في القول للمعتمد وهدَّد بإزالة مُلكه، فلم يتمالك الأمير نفسه وقام بقتله ومن معه[4].

ولمَّا بلغ الخبر ألفونسو السَّادس ثارت ثائرته، وأقسم بآلهته لَيغزوَّن المعتمد بإشبيلية[5]، وأن يحشد من جيوش الرُّوم لقتاله عدد شعر رأسه[6]. وبالفعل نفَّذ ألفونسو تهديده، وزحف نحو

1- الحِميري، **الرَّوضُ المعطار**، ص288 ؛ السَّلاويّ: **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدَّولتان المرابطيَّة والموحِّديَّة**، تحقيق جعفر النَّاصري ومحمَّد النَّاصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954م، ج2، ص34 ؛ نديم مرعشلي: **المعتمد بن عبَّاد بطل جسَّد مأساة الأندلس، وشاعر غنَّى مجدها المفقود**، دار الكتاب اللبناني، مطبعة الاجتهاد، د.ت، ص28.

2- ابن الأثير: **الكامل في التَّاريخ**، دار صادر للطِّباعة والنَّشر، بيروت، 1966م، مج10، ص142 ؛ المقرِّي، **نفح الطِّيب**، مج4، ص246 ؛ يوسف فرحات: **موسوعة الحضارة العربية، العصر الأندلسيّ (الحضارة الأندلسيَّة)**، دار كلمات للنَّشر، 1995م، مج6، ص968.

3- المقرِّي، **نفح الطِّيب**، 246/4 ؛ السَّلاويَّ، **الاستقصا**، ج2، ص35.

4- ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مج5، ص28 ؛ دوزي رينهرت: **المسلمون في الأندلس**، ترجمة وتعليق وتقديم حسن حبشي، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، مصر، 1995م، ج3، ص126 ؛ عليّ أحمد: **اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى**، منشور ضن مجلة دراسات تاريخية، تصدر عن لجنة كتابة تاريخ العرب، جامعة دمشق، السنة 17، العددان 57-58، 1996م، ص174.

5- الحِميري، **الرَّوض المعطار**، ص288 ؛ بسَّام العسلي: **المعتمد وابن تاشفين**، دار النفائس للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، 1992م، ط4، ص66.

6- المقرِّي، **نفح الطِّيب**، مج4، ص246.

إشبيلية، فخرب ودمر في طريقه حتَّى وصل إلى جزيرة طريف أقصى جنوب الأندلس على المضيقوأدخل قوائم فرسه فيالبحر قائلًا "هذا آخر بلاد الأندلس قد وطأته[1]". ومن هناك أرسل إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين خطابًا[2] يتوعده فيه بالهزيمة في حالة عبوره لنجدة إخوانه بالأندلس فأمر يوسف بن تاشفين أن يكتب إليه على ظهر كتابه "جوابك يا أذفنش ما تراه لا ما تسمعه إن شاء الله"، وأردف الكتاب ببيت للشاعر المشهور أبي الطيِّب أحمد المتنبي:

ولا كُتْبَ إلَّا المشْرفِيَّةُ والقَنَا[3] وَلاَ رُسُلَ إلَّا الخَمِيسُ[4] العَرَمْرَمُ[5]

1- ابن الخطيب: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، حقَّق نصه ووضع مقدمته وحواشيه محمَّد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1975م، ط2، ج4، ص351 ؛ محمَّد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس– العصر الثَّاني– دول الطَّوائف منذ قيامها حتَّى الفتح المرابطي**، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م،ط4، ص316.

2- عن نص الخطاب الذي أرسله ألفونسو السَّادس إلى الأمير يوسف بن تاشفين. (انظر:ابن الخطيب،**الإحاطة**، ج4، ص351).

3- قنأ: قنأَ الشَّيءُ يقنأُ قنوءًا : اشتدَّت حُمْرَتُهُ، ويقال ضربته حتَّى قنيء يقنأُ قنوءًا، إذا ماتَ. وأقنأتُ الرَّجُلَ إقناءً: حملته على القتل. (انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د.ت، مج5، ص3746).

4- الخَمِيسُ: من أيَّام الأسبوع، ويقصد به هنا الجيشُ، وقيل الجيشُ الجرَّارُ، أو الجيشُ الخَشِنُ، وسُمِّي بذلك لأنَّه خمسُ فرق: المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والسَّاقَّة، وقيل سُمِّي خميسًا لأنَّه تُخَمَّسُ فيه الغنائم. (انظر: ابن منظور:**لسان العرب**، مج2، ص1264-1265).

5- ابن الكردبوس: **تاريخ الأندلس وهو قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء**، تحقيق أحمد مختار العبَّادي، مطبعة معهد الدِّراسات الإسلاميَّة، مدريد، 1971م، ص91 ؛ **الحُلل الموشيَّة**، ص43 ؛ ابن الخطيب: **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثَّالث من كتاب أعمال الأعلام**، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادي ومحمَّد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م، ص240. (جيشٌ عَرَمْرَمٌ: كثيرٌ، وقيل هو الكثير من كل شيءٍ، وعُرامُ الجيش: حَدُّهُمْ وشِدَّتُهُمْ وكَثْرَتُهُمْ). (انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، مج4، ص2913-2914).

وعندما وصل كتاب الأمير يوسف لألفونسو واطلع عليه فزع فزعًا كبيرًا وأدرك أنَّه ابتلي برجل له عزم وحزم[1]، ورغم ذلك استمر ألفونسو في كبريائه وعناده بحيث عاد إلى إشبيلية وحاصرها مُدَّة ثلاثة أيام، وكتب إلى المعتمد يسأله أن يرسل إليه مروحة لطرد الذباب، فرد عليه المعتمد قائلًا: "قرأت كتابك وفهمت خُيلاءك وإعجابك وسأنظر إليك في مراوح من الجلود اللَّمطية تُرِيحُ منك لا تُرَوِّحُ عليك إن شاء الله"[2].

ويظهر من قوله هذا أن المعتمد أراد الاستنجاد بالمرابطين في المغرب، وقد شاور في هذا الأمر خاصته، ووجوه دولته، فأشاروا عليه بمعاهدة ألفونسو وعقد السلم معه وعدم الاستنجاد بالمرابطين[3]. وقد تبنى هذا الرأي أيضًا ولده الرَّشيد أبو الحسن الذي قال لأبيه: "يا أبتِ أتُدخل علينا في أندلسنا من يسلبنا مُلكنا، ويبدِّد شملنا" فأجابه المعتمد فقال: "أي بني، والله لا يسمع عني أبدًا أني أعدت الأندلس دار كفر، ولا تركتها للنَّصارى، فتقوم علي اللَّعنة في منابر الإسلام مثلما قامت على غيري"[4]. وقال أيضًا: "حرز الجمال والله عندي خير من حرز الخنازير"[5].

1- ابن الأثير، **الكامل في التَّاريخ**، مج10، ص152-153.

2- الحِميري، **الرَّوض المعطار**، ص828 ؛ بسَّام العسلي، **المعتمد وابن تاشفين**، ص68.

3- **الحُلل الموشيَّة**، ص44.

4- **الحُلل الموشيَّة**، ص44-45 ؛ أشباخ: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ترجمة وتعليق محمَّد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1996م، ط2، ج1، ص78 ؛ دوزي رينهرت: **ملوك الطَّوائف**، ترجمة كامل كيلاني، مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1933م، ط1، ص281.

5- **الحُلل الموشيَّة**، ص45. (وردت مقولة ابن عبَّاد بصيغ مختلفة فقد جاءت عند ابن خلكان كما يلي "ولأن يرعى أولادنا جمالهم (يقصد جمال المرابطين) أحبُّ إليهم من أن يرعوا خنازير الفرنج"، وجاءت عند الحِميري بعبارة "رعي الجمال خير من رعي الخنازير" وهي العبارة المشهورة والأكثر تداولًا في المراجع الحديثة، وقد جاءت المقولة عند أشباخ مطابقة لما في الحُلل الموشيَّة كما هي مدونة في المتن. (انظر: **وفيات الأعيان**، مج7، ص115 ؛ **الرَّوض المعطار**، ص288 ؛ **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحَّدين**، ج1، ص78).

Amar Dhina**: Grands tournants de l'histoire de L'Islam (de la bataille de badar à L'attaque d'Alger par Charles- Quint),** sociéténationale d'édition et de diffusion ,Alger, 1978,p130.

وحدث في تلك الأثناء اجتماع لمشايخ قرطبة للتشاور في الحالة السيئة التي تعشيها البلاد، وعرضوا الأمر على قاضي المدينة عبيد الله بن أدهم[1]، واقترحوا عليه الاستنجاد بعرب إفريقية الهلاليّين ولكن القاضي تخوَّف من تخريبهم للبلاد كما فعلوا بإفريقية، وأشار عليهم الاتصال بالمرابطين لأنهم أصلح من الهلاليّين، وأقرب إلى الأندلس[2].

وشاع في الأندلس أنَّ المعتمد بن عبَّاد يرى ضرورة الاستنجاد بالمرابطين فقام أمراء الأندلس يُحذِّرونه عاقبة ذلك وقالوا له: "الملك عقيمٌ والسيفان لا يجتمعان في غمدٍ واحدٍ". ولكن المعتمد أصرَّ على رأيه وأجاب:"إن استندتُ إلى ابن تاشفين فإنّي أُرضي الله، وإن استندتُ إلى الأذفنش أسخطتُ الله تعالى"[3]، وبقي متمسكًا برأيه إلى أن أقنعهم، فقام بالاتصال بكل من ابن الأفطس صاحب بطليوس، وابن بلكين صاحب غرناطة، وطلب أن يرسل كل واحد منهما قاضيًا لتشكيل بعثة تذهب إلى المغرب لمقابلة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وكانت هذه البعثة برئاسة القاضي ابن أدهم وبحضور وزير المعتمد ابن زيدون[4]، وقاضي بطليوس ابن مقانا، وقاضي

1- كُنيته أبو بكر قاضي الجماعة بقرطبة، كان أعقل أهل زمانه، استقضاه المتعمد بن عبَّاد سنة 468هـ/1075م، وكان قبل ذلك ينظر في أحكام المظالم، توفي سنة 486هـ/1093م. (انظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مج5، ص28 ؛ ابن عذارى: **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق إحسان عبَّاس، دار الثقافة، بيروت، 1998م، ط5، ج4، ص132).

2- ابن الأثير، **الكامل في التَّاريخ**، مج10 ، ص151-152.

3- الحميري، **الرَّوض المعطار**، ص288 ؛ سعدون نصر الله: **تاريخ العرب السِّياسي في الأندلس**،دار النَّهضة العربية للطِّباعة والنَّشر، بيروت، 1998م، ط1، ص220-221 ؛ بسَّام العسلي، **المعتمد وابن تاشفين**، ص69-70.

4- الحِميري، **الرَّوض المعطار**، ص288. (أبو بكر محمَّد بن أبي الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون ابن الشاعر المشهور، كان وزير المعتمد بن عبَّاد، أسند له هذا الأخير في مهمته مع الفقهاء الثلاثة أن يقوم بإبرام العُقود السُّلطانية، أي صلاحية إبرام الاتفاق مع الأمير يوسف بن تاشفين). (انظر: ابن الأبَّار، **الحُلَّة السِّيَرَاء**، 99/2).

غرناطة ابن القليعي[1] حملا معهما رسالة مكتوبة من المعتمد بن عبَّاد إلى الأمير يوسف يستنجده فيها ويستدعيه للأندلس ليدفع عنه ألفونسو السَّادس[2].

ولمَّا وصلت الرُّسل إلى ابن تاشفين أقبل عليهم وأكرم مثواهم، وجرت بينهم محادثات ومفاوضات[3]، وكان الأمير يوسف يعدهم خيرًا، بعد أن رقَّ قلبه لحالهم وحال بلادهم، وبعد مشاورة حاشيته وافق على العبور إلى الأندلس لنصرة إخوانه في الدِّين[4].

1- ابن الأبَّار، **الحُلَّة السِّيَرَاء**، ج2، ص98-99.

2- عن نص الرِّسالة التي بعثها المعتمد بن عبَّاد إلى الأمير يوسف بن تاشفين. (انظر مجهول، **الحُلل الموشيَّة**، ص45-46).

3- أسفرت هذه المحادثات على جملة من الشروط وافق عليها الطرفان تتمثل فيما يلي: أن يتعاون أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين وأمراء الطَّوائف في محاربة النَّصارى، وأن يؤمن أمراء الطَّوائف في ممالكهم، وألَّا تُحرَّض رعيتهم على شيءٍ من الفساد. (انظر: محمَّد عبد الله عنان، **دول الطَّوائف**، ص318).

4- مارمول كربخال: **افريقيا**، ترجمة محمَّد حجي وآخرون، مكتبة المعارف للنَّشر والتَّوزيع، الرِّباط، 1984م، ج1، ص305.
André Clôt: **L'Espagne musulmane**, édition Perrin, Paris, 1999, p196-197.

المحاضرة العاشرة: الدَّولة المرابطيَّة في الأندلس

1- تأسيس الدَّولة في بلاد المغرب[1]:

ينتسب المرابطون إلى قبيلة صنهاجة الصحراء وقد عرفوا أيضًا باسم الملثمين لارتدائهم اللثام في وجوههم، وقد قامت دولتهم على أساس دعوة دينية حيث بدأت بالظهور في أوائل القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) على يد رجال تحدوهم نزعة إصلاحية، أوَّل هؤلاء الرجال يحي بن إبراهيم الجدالي الذي أراد إصلاح شؤون قبائل صنهاجة الصحراء التي كان أهلها لا يعرفون من تعاليم الإسلام إلَّا الشيء القليل، فتجهز لأداء فريضة الحج سنة 427هـ/1036م وفي أثناء عودته منه لقي بالقيروان أبا عمران الفاسي شيخ المذهب المالكي فلزمه واستمع لدروسه وطلب منه أن يرسل إلى قومه تلميذًا يفقههم في الدِّين، فعرض الشَّيخ على تلاميذه الأمر فلم يقبل أحد منهم الذهاب معه لبُعد الدار ومشقة السفر والانقطاع عن الأهل في الصحراء، فحمَّله رسالة إلى تلميذ له في سجلماسة هو وجاج بن زلو اللَّمطي فانتدب له وجاج تلميذًا تقيًا من تلاميذه هو عبد الله بن ياسين الجزولي فارتحل هذا الأخير مع يحي بن إبراهيم الجدالي إلى مضارب قبائل صنهاجة الصحراء، وشرع في تعليم أهلها تعاليم الدِّين الإسلامي، وقد أنشأ لهذا الغرض رباطًا في مصب نهر السنغال، وعندما كثر أتباعه وبلغوا نحو ألف مريد شرع في غزو القبائل التي لم تذعن للإسلام بعد، وقد جعل من يحي بن إبراهيم الجدالي أميرًا على المرابطين، وعندما توفي في حدود سنة 440هـ/1048م خلفه في زعامة المرابطين يحي بن عمر اللَّمتوني وعند وفاته سنة

1- ارتأيت قبل الحديث عن لب الموضوع "المرابطون في الأندلس" الحديث وباختصار عن تأسيس الدَّولة المرابطية في بلاد المغرب، وكذلك نظام الحكم والمذهب الرسمي للدولة.

447هـ/1055م خلفه على زعامة المرابطين أخوه أبو بكر عمر اللَّمتوني الذي توسعت في عهده دولة المرابطين إلى شمال المغرب الأقصى[1].

ولمَّا وقع الخلاف بين قبيلتي لمتونة وجدالة في الصحراء عاد أبو بكر ابن عمر إلى هناك سنة 453هـ/1061م لمحاولة الإصلاح بينهما[2]، وقبل عودته جعل ابن عمه الأمير يوسف بن تاشفين اللَّمتوني خليفة له في شمال المغرب، ولما عاد أبو بكر إلى الشمال وجد ابن عمه قد استأثر بالحكم فزهد فيه ورجع من جديد إلى الصحراء حيث قام بنشر الإسلام في بلاد الزنوج (السودان الغربي) إلى أن استشهد بها في إحدى غزواته بعد أن أصيب بسهم مسموم في شعبان سنة480هـ/نوفمبر 1087م[3].

1- ابن أبي زرع: **الأنيس المُطرِب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصورة للطِّباعة والوراقة، الرباط، 1972م ؛ ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج4، ص7 وما بعدها ؛ حسن أحمد محمود، **المرجع السَّابق**، ص59 وما بعدها.

2- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص134 ؛ ابن خلدون: **العِبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1971م، ج6، ص184. (غير أنَّ ابن الخطيب يقول أنَّ ذهاب أبي بكر بن عمر إلى الصحراء حدث سنة 452هـ/1060م، بينما يذكر صاحب الحُلل الموشيَّة وابن عذارى أنَّه ذهب سنة 463هـ/1070م، وعاد إلى المغرب في العام الموالي حسب هذا الأخير. وأرى أنَّه من غير الممكن السفر بجيش ضخم إلى الصحراء وفكِّ الخصومات بين قبائل المرابطين في مدة سنة واحدة فقط، كما أنَّ معظم المصادر التَّاريخيَّة ذكرت بأنَّ يوسف بن تاشفين عندما تركه أبو بكر في المغرب استفحل ملكه وعظم شأنه وكثر جنده، وقام ببناء مرَّاكش وفتح أقطارًا كبيرةً من شمال المغرب فمن غير المعقول بأن يفعل كل ذلك في مدة عام واحدٍ فقط، لهذا أُرجِّح ما ذكره ابن أبي زرع وابن خلدون). (انظر: **أعمال الأعلام**، ص232 ؛ **الحُلل الموشيَّة**، ص24-25 ؛ **البيان المغرب**، ج4، ص21 وما بعدها).

3- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص135-136 ؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص233 ؛ ابن خلدون، **العِبر**، ج6، ص184. (غير أنَّ ابن عذارى وصاحب الحُلل الموشيَّة يقولان أنَّ الأمير أبا بكر توفي سنة 468هـ/1075م، والأرجح ما أثبتناه في المتن). (انظر: **البيان المغرب**، ج4، ص26 ؛ **الحُلل الموشيَّة**، ص28).

وقد قام الأمير يوسف بن تاشفين حينما كان ابن عمه الأمير أبو بكر بن عمر في الصحراء ببناء مدينة مراكش سنة 454هـ/1062م واتخذها عاصمةً لدولته الناشئة، وقد عظمت دولة المرابطين في عهده مع مرور الزمن وتمكن يوسف من الاستيلاء على كامل بلاد المغرب الأقصى، والجزء الغربي من المغرب الأوسط، وأجزاء كبيرة من بلاد السودان الغربي وبلاد الأندلس[1].

2- نظام الحكم والمذهب:

حكم الأمير يوسف بن تاشفين حوالي نصف قرن من الزمن ويعتبر المؤسِّس الحقيقي لدولة المرابطين وأقوى أمراءها على الإطلاق، وقد لقب نفسه بأمير المسلمين وناصر الدِّين وأعلن الولاء للخلافة العباسية في بغداد[2]، واتبع المرابطون الحكم الوراثي حيث حكم بعد الأمير يوسف أولاده وأحفاده، وكان مذهب الدَّولة الرسمي هو المذهب السني المالكي الذي تعصب له المرابطون كثيرًا ونبذوا باقي المذاهب[3].

1- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص136.

2- ابن الأثير: **الكامل في التَّاريخ**، راجعه وصحَّحه محمَّد يوسف الدَّقاق، دار الكتب العلميَّة، بيروت،2003م، ط4، مج9، ص99 ؛ ابن خلدون، **العِبر**، ج6، ص188 ؛ الطاهر المعموري: **الغزالي وعلماء المغرب**، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م، ص9.

3- علي محمَّد الصَّلابي: **تاريخ دولتي المرابطين والموحِّدين في الشمال الأفريقي، القسم الأوَّل دولة المرابطين في الشمال الأفريقي**، دار المعرفة للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، 2009م، ط3، ص234.

3- المرابطون في الأندلس ومعركة الزَّلاقة[1]:

3-1- استعداد المسلمين للمعركة:

ارتبطت موافقة الأمير يوسف بن تاشفين بالجواز إلى الأندلس بتحقيق شرط واحد اشترطه على أقوى أمراء الطوائف المعتمد بن عبَّاد، ألا وهو تسليمه الجزيرة الخضراء لكي يجعل فيها ثِّقاته وجنوده، ويكون عبوره إليها متى شاء[2]؛ وكتب في ذلك رسالة[3] إلى المعتمد بن عبَّاد الذي قام بجمع مجلسه المتمثل في القاضي والفقهاء لاستشارتهم في الأمر ولكي يُشهدهم على عقد هبة الجزيرة الخضراء للأمير يوسف، وعندما أتمَّ هذا العقد أرسله إليه، كما بعث إلى ابنه يزيد بن محمَّد الراضي صاحب الجزيرة الخضراء يأمره بإخلائها والانتقال عنها لتسليمها للمرابطين لكي يعسكروا بها[4].

1- بما أنَّ معركة الزَّلاقة في الأندلس كانت حدثًا تاريخيًا بارزًا وملحمة كبيرة جدًا، ارتأيت الحديث عنها بشيء من التفصيل، بالمقارنة مع باقي معارك المرابطين، والتي سنعرضها لاحقا وباختصار.

2- كان الذي أشار على الأمير يوسف بن تاشفين بضرورة تملكه الجزيرة الخضراء قبل عبوره إلى الأندلس كاتبه عبد الرَّحمان بن أسباط الأندلسي،لأنَّه رأى أنَّ ذلك كفيل بضمان أمن وسلامة القوَّات المرابطيَّة عند العبور، وقد تجاوب الأمير يوسف معه بقوله: "صدقت يا عبد الرَّحمان لقد نبهتني إلى شيء لم يخطر ببالي". (انظر: **الحُلل الموشيَّة**، ص49-50).

3- عن نص رسالة الأمير يوسف للمعتمد يطلب منه أن يعطيه الجزيرة الخضراء ليجعل فيها أثقاله وأجناده. (انظر: **الحُلل الموشيَّة**، ص50).

4- **الحُلل الموشيَّة**، ص51. (غير أنَّ عبد الله بن بلكين يذكر رواية أخرى لكيفية تسليم الجزيرة الخضراء مفادها أنَّ المعتمد بن عبَّاد تريث في الأمر بإمساكه لرسل الأمير يوسف بن تاشفين في إشبيلية مدَّة طويلة، ثمَّ أرسل معهم شيوخ وفُقهاء ليقولوا ليوسف تربص في مدينة سبتة مدَّة ثلاثين يومًا حتَّى نُخلي لك الجزيرة الخضراء، ولكن الأمير يوسف خالف الأمر وعبر إلى الأندلس واستولى على الجزيرة بقيادة داود بن عائشة). (انظر: **التِّبيان**، ص102-103).

وبعد حصول الأمير يوسف على الجزيرة الخضراء حزم أمره، وأخذ يُعِّد العُدَّة للعبور إلى الأندلس[1] تلبيةً لنداء أهله تحدوه نزعة للجهاد ويظهر ذلك في قوله "أنا أوَّل منتدب لنصرة هذا الدِّين ولا يتوَّلى الأمر أحدٌ إلَّا أنا بنفسي"[2]، وقد استنفر لذلك جميع حشوده، وبعث في البلاد إلى جنوده الذين أقبلوا عليه من الصحراء وبلاد الزاب ومن مختلف نواحي المغرب، فرحل بهم إلى مدينة سبتة، وحشد السفن لعبور هذه القوَّات[3]، وأصدر الأوامر لقواته بالعبور إلى الجزيرة الخضراء، وتوالى عبور الجيش تباعًا، وقد بلغ عدده حوالي عشرة آلاف[4]، كما أمر بعبور الجِمال التي لم يكن يعرفها أهل الأندلس ولا رأوها قط[5]، وعندما عبر جميع أفراد الجيش لحق بهم الأمير يوسف في أثرهم يوم الخميس منتصف ربيع الأوَّل 479هـ الموافق ل 30 جوان 1086م[6] ولمَّا وطئت قدماه ظهر السفينة رفع يديه نحو السماء ودعا ربه قائلًا: "اللَّهم إن كنت تعلم أنَّ جوازي هذا خيرًا وصلاحًا

1- Eugéne Guernier et G. Froment – Guieysse: **L'Encyclopédie Coloniale et maritime – Maroc**, éditions de l'empire Français, Paris, 1948, p51.

2- المرَّاكشي، **المُعجب** ص92. (ويذكر ابن بلكين بأنَّ الأمير يوسف بن تاشفين كتب أمانًا لأهل الأندلس على ألا يتعرض لأحد منهم حين عبوره لبلادهم، وأن يتعاون مع أهلها للتَّصدي لعدوان الصَّليبيّين). (انظر: **التِبيان**، ص103).

3- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص144 ؛ دوزي رينهرت، **ملوك الطَّوائف**، ص289. (كان أسطول الأمير يوسف بن تاشفين في ذلك الوقت يتألف من سُفن النقل أكثر من سُفن القتال، لأن الغرض الأساسي كان ربط الاتصال بين المغرب والأندلس لنقل الجنود والمعدات). (انظر: السيد عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي: **تاريخ البحرية الإسلاميَّة في حوض البحر الأبيض المتوسط، البحرية الإسلاميَّة في المغرب والأندلس**، مؤسَّسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993م، ج2، ص240).

4- ابن خلكان، **وَفياتُ الأعيانِ**، مج5، ص29. (بينما يذكر المرَّاكشي بأنَّ عدد الجيوش التي جمعها الأمير يوسف من مختلف نواحي بلاد المغرب خلال عبوره الأوَّل للجهاد في الأندلس بلغت حوالي سبعة آلاف فارس في عدد كثير من الرَّجْل (يقصد الجنود المشاة)). (انظر: **المُعجب**، ص93).

5- ابن خلكان، **وَفياتُ الأعيانِ**، مج7، ص116 ؛ المقرّي، **نفحُ الطِّيب**، مج4، ص361.

6- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص145 ؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص24. (يختلف المرَّاكشي مع ابن أبي زرع وابن الخطيب في تحديد الشهر الذي عبر فيه الأمير يوسف إلى الأندلس حيث جعله في شهر جُمادى الأوَّل). (انظر: **المُعجب**، ص93).

للمسلمين فسهِّل علي جواز هذا البحر، وإن كان غير ذلك فصعِّبه علي حتَّى لا أجوزه[1]" فاستجاب الله تعالى لدعائه وسهَّل عليه العبور في أسرع ما يكون، وعند وصوله إلى الجزيرة الخضراء صلَّى بها صلاة الظهر من يومه ذلك[2]، واستقبله سكانها بالتِّرحاب وخرجوا إليه بما عندهم من الأقوات والضيافات، وامتلأت المساجد والرحبات بالمتطوعين[3].

وشرع الأمير يوسف في تحصين الجزيرة الخضراء ببناء أسوارها، وترميم ما تصدع من الحُفر عليها وشحنها بالأطعمة والأسلحة، وقام باختيار نُخبةً من عسكره لحراسة الجزيرة[4]، واتجه نحو إشبيلية، وسارع المعتمد بن عبَّاد لملاقاته في مئة من فرسانه ووجوه أصحابه[5]، وأظهر من برِّه وإكرامه فوق ما كان يظنه أمير المسلمين، وقدَّم إليه من الهدايا والتحف والذخائر الملوكية ما لم يظنه يوسف عند ملك[6]، كما أنَّهما التقيا منفردين وتصافحا وتعانقا[7]، ويقول صاحب الحُلل الموشيَّة أنَّ ابن عباد همَّ بتقبيل يد الأمير يوسف تعظيمًا له ولكن هذا الأخير بادر لمعانقته وانبسط معه في الحديث[8] ؛ وطلب منه المعتمد بن عباد دخول إشبيلية ليستريح فيها أيامًا حتَّى تزول عنه

1- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص145 ؛ السَّلاويّ، **الإستقصا**، ج2، ص32 ؛ أشباخ يوسف، **المرجع السَّابق**، ج1، ص82 ؛ محمَّد عبد الله عنان، **دول الطَّوائف**، ص319.

2- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص145.

3- الحِميري، **الرَّوضُ المعطار**، ص289 ؛ المقرِّي، **نفح الطِّيب**، مج4، ص362.

4- **الحُلل الموشيَّة**، ص51.

5- الحِميري، **الرَّوض المعطار**، ص289 ؛ السَّلاويّ، **الاستقصا**، ج2، ص38.

6- المرَّاكشي، **المُعجب**، ص93.

7- الحِميري، **الرَّوض المعطار**، ص289 ؛ المقرِّي، **نفح الطِّيب**، مج4، ص362.

8- **الحُلل الموشيَّة**، ص51 ؛ دوزي، **ملوك الطَّوائف**، ص292.

وعثاء السفر، فأبَّى عليه وقال له "إنَّما جئت ناويًا جهاد العدوِّ، فحيثما كان العدوُّ توجَّهتُ وَجهه[1]".

لم يستقر الأمير يوسف بن تاشفين غير ثلاثة أيام في إشبيليَّة ينتظر فيها التحاق الجيوش حيث بعث إلى سائر أمراء الأندلس يستنفرهم للجهاد فلبَّى الدعوة صاحب غرناطة عبد الله بن بلكين وأخوه تميم صاحب مالقة[2]، ويذكر ابن بلكين ذلك في مذكراته حيث قال "وبادرنا بالخروج وسررنا بذلك، وأعددنا ما استطعنا للجهاد من الأموال والرِّجال"[3].

وقد خرج ابن بلكين بنحو ثلاثمائة فارس، بينما أخوه تميم بنحو مائتي فارس[4] والتقيا بمعسكر الأمير يوسف في الطريق إلى بطليوس، هذا وقد اعتذر صاحب المريَّة ابن صمادح لكبر سنِّه، ولتربص العدوِّ النَّصرانيُّ به[5]، وأرسل فرقة من الفرسان مع ولده[6]، وسارت هذه الجموع بقيادة أمير المسلمين يوسف نحو بطليوس فاستقبلهم صاحبها المتوكِّل بن الأفطس على ثلاثة مراحل من المدينة وأكرمهم غاية الكرم[7] ومكثوا هناك أيامًا، ثمَّ تابعوا المسير حتَّى وصلوا إلى سهل الزَّلاقة[8].

1- المرَّاكشي، **المُعجب**، ص93.

2- ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص240-241 ؛ **الحُلل الموشيَّة**، ص52.

3- **التِّبيان**، ص104.

4- ابن الأبَّار، **الحُلَّة السِّيَرَاء**، ج2، ص100 ؛ دوزي، **ملوك الطَّوائف**، ص294.

5- ابن بلكين، **التِّبيان**، ص104.

6- ابن الأبَّار، **الحُلَّة السِّيَرَاء**، ج2، ص100.

7-ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص146 ؛ السَّلاويّ، **الاستقصا**، 40/2.

8- الزَّلاقة أصله من قولهم مكان زلقٌ أي دحضٌ، والزَّلَقُ معناه الزَّلَلُ، وأرضٌ مَزْلَقَةٌ هي الأرض التي لا يثبت عليها قدمٌ من شدَّة زَلَقِهَا لأنَّها ملساء لا نبات فيها ؛ وبطحاء الزَّلاقة موضعٌ صغيرٌ بغرب الأندلس يسمى اليوم (Sagrajas) على أحد نهيرات وادي آنه المسمى نهر جيريرو (Guerrero) على نحو اثني عشر كيلومترًا شمال مدينة بطليوس. (انظر: ابن منظور: **لِسَانُ العرب**، مج3، ص1854-1855؛ الحموي، **مُعجم البلدان**، مج3، ص146 ؛ ابن الأبَّار، **الحُلَّة السِّيَرَاء**، ج2، ص101، هامش1).

3-2- استعداد النَّصارى للمعركة:

بلغ خبر عبور يوسف وجيشه للأندلس إلى ملك قشتالة ألفونسو السَّادس وكان يحاصر مدينة سرقسطة[1] فانحلت عزائمه[2]، وارتعدت فرائسه، واضطر لرفع الحصار عن المدينة[3]، ورحل منها إلى طليطلة[4] وأخذ يستنفر جميع القوى النَّصرانيَّة وبعث إلى سانشو راميرز[5] ملك أراغون ونافارا

1- لم يشارك المستعين بالله الثَّاني أحمد بن هود أمير سرقسطة في معركة الزَّلاقة لأنَّ مدينته كانت محاصرة من قبل ملك قشتالة ألفونسو السَّادس، وقد تقرب المستعين من الأمير يوسف بن تاشفين بعد نهاية المعركة وأبدى له عذره للتخلف عن المشاركة فيها، وقبل الأمير يوسف هذا العُذر، ونشأت علاقة ودية بين الأميرين. (انظر: ابن الخطيب: **تاريخ إسبانيَّة الإسلاميَّة أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق وتعليق إ. ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدِّينيَّة، القاهرة، 2004م، ط1، ص173 ؛ سعدون نصر الله، **المرجع السَّابق**، ص143).

2- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص145 .

3- ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**،ص92 ؛ عبد الوهاب الدباغ: **التَّحدي الصَّليبيّ للوجود الإسلاميّ في إسبانيا**، منشور ضمن كتاب **الوحدة والتَّنوع في تاريخ المسلمين بحوث في التَّاريخ والحضارة الإسلاميَّة**، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2002م، ط1، ص235.

4- يذكر ابن الكردبوس أنَّ ألفونسو السَّادس قبل رحيله إلى طليطلة حاول انتهاز الفرصة فطلب من المستعين أن يدفع له ما أمكنه من المال ويرحل عنه، فأبى المستعين أن يعطيه درهمًا واحدًا، لأنَّه سمع بقدوم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين لنجدة أهل الأندلس، كما أنَّه خاف أن يتقوى ألفونسو بهذا المال. (انظر: **تاريخ الأندلس**،ص92).

5- (Sancho Ramirez) هو ملك أراغون ونافارا ولد عام 1043م وتوفي سنة 1094م، خلفه في الحكم ولده بيدرو الأوَّل عُرف بابن رذمير أو ابن ردمير في المصادر الإسلاميَّة مثل ولده ألفونسو الأوَّل المحارب، حاصر طُرطوشة مدَّة طويلة فتضرَّر أهلها من ذلك كثيرًا، حيث افتقدوا الشعور بالأمن والاستقرار لفترة طويلة. (انظر: ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**،ص100، هامش2؛ كمال السيد أبو مصطفى: **تاريخ مدينة طُرطوشة الإسلاميَّة وحضارتها في عصر دويلات الطَّوائف في القرن 5هـ/11م**، منشور ضمن كتاب **السجِّل العلميّ لندوة الأندلس قرون من التقلُّبات والعطاءات**، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامَّة، الرياض، 1996م، ط1، ص178).

وكان محاصرًا لمدينة طُرطوشة، كما أرسل إلى قائده ألبرهانس[1] يستدعيه من بلنسيَّة[2]، وحشد أيضًا قوات عظيمة من قشتالة،جليقية، أشتوريش، ليون وبنبلونة، وأتاه المدَّد أيضًا من ولايات فرنسا الجنوبيَّة[3]، وإيطاليا[4]، ويذكر ابن أبي زرع أنَّه أتاه من تلك البلاد من حشود الرُّوم أُممٌ لا تحصى بلغت مئة وثمانين ألف فارس ومأتي ألف راجل[5]، وبلغت حسب صاحب الحُلل الموشيَّة حوالي ثمانين ألف فارس لابسين الدُّروع دون غيرهم[6].

1- (Alvarhanes) أو (Alvar Fanez) ورد اسمه باللغة العربيَّة بصيغ مختلفة منها ألبارهانس وألبرهانش وألبار فانييث، وهو من أكبر قُواد ألفونسو السَّادس، وهو ابن أخ السيد القمبيطور، شارك في العديد من المعارك ضدَّ المسلمين كالزَّلاقة وأقليش وغيرهما، كانت وفاته سنة 507هـ/1114م على يد أهل شقوبية في المعارك الدائرة بين ألفونسو المحارب صاحب أراغون، وأوراكة صاحبة ليون وقشتالة وأشتوريش. (انظر: ابن القطان: **نُظُمُ الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزَّمان**، درسه وقدَّم له وحقَّقه محمود علي مكيّ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ط1، ج6، ص64، هامش2 ؛ ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص145).

2- ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص92 ؛ ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص145-146؛ أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ج1، ص84 ؛ محمَّد عبد الله عنان، **دول الطَّوائف**، ص322.

3- يذكر أشباخ بأنَّ ولايات فرنسا الجنوبيَّة تتمثل في لانجدوك وجويانه وبرجونيه وبروقانس، ويضيف بأنَّ المدد جاءه أيضًا من كونت برشلونة رامون برنجير الثَّاني الذي كان يتأهب لغزو بلنسيَّة. (انظر: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ج1، ص84).

4- محمَّد عبد الله عنان، **دول الطَّوائف**، ص322.

5- **روض القرطاس**، ص146 وما بعدها. (ويذكر ابن الكردبوس بأنَّ العساكر أقبلت على ألفونسو السَّادس من أقصى الرُّوميَّة (يقصد أوروبا) حتَّى ملئوا البطاح والأفضيَّة). (انظر: **تاريخ الأندلس**، ص92).

6- **الحُلل الموشيَّة**، ص56.

ولمَّا رأى ألفونسو هذا العدد أعجبته كثرته[1] وأخذه الغرور فقال:"بهؤلاء أقاتل الجِّن والإنس وملائكة السَّماء[2]"، وقد ساهمت الكنِّيسة في شحذِّ الهِمَّم، وقد ذكر ابن عذارى أنَّ الرهبان والأساقفة رفعوا صلبانهم، ونشروا أناجيلهم، وتقدموا الجيوش لإذكاء الحماس الدِّيني في نفوسهم[3].

1- اختلفت الرِّوايات التَّاريخيَّة في تقدير حجم قُوات المسلمين والنَّصارى المشاركين في معركة الزَّلاقة، وقد ذكرت في المتن تقديرات كُلًا من ابن أبي زرع وصاحب الحُلل الموشيَّة لجيش النَّصارى، ويرى الحِميري أنَّ تعدادهم هو أربعين ألف دارع، ولابدَّ لمن هذه صفته أن يتبعه واحد أو اثنان، في حين أنَّ الرِّوايات النَّصرانيَّة تلتزم أغلبها الصَّمت حيال عدد الجيوش النَّصرانيَّة، وقد قدرها أشباخ بنحو مئة وثلاثون إلى مئة وخمسون ألف مقاتل، أمَّا الجيش الإسلاميّ فقدَّر عدده صاحب الحُلل الموشيَّة بحوالي خمسين ألف فارس، بينما يرى المرَّاكشي أنَّه في حدود عشرين ألف، في حين أنَّ الرِّوايات النَّصرانيَّة تبالغ في ذكر عدد جيوش المسلمين حيث يقول أشباخ بأنَّه في حدود مئة وثلاثون إلى مئة وخمسون ألف مقاتل، ورغم هذا التَّباين في الآراء إلَّا أنَّ جُلُّ الرِّوايات الإسلاميَّة تُجمع على أنَّ تعداد جيش النَّصارى كان أكبر بكثير من جيش المسلمين، ويتضح هذا أكثر بالاطلاع على وقائع المعركة ونتائجها. (انظر: **روض القرطاس**، ص146 وما بعدها ؛ **الحُلل الموشيَّة**، ص56؛ **المُعجب**، ص94 ؛ **الرَّوض المعطار**، ص289 ؛ **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ج1، ص84-85 ؛ محمَّد عبد الله عنان، **دول الطَّوائف**، ص322).

2- يذكر ابن الأثير والحِميري أنَّ ألفونسو السَّادس حين كان يعد العدَّة لحرب المسلمين رأى في منامه وكأنَّه راكب فيل، وبين يديه طبل صغير وهو ينقر فيه، فقصَّ رأياه على القسِّيسين، فلم يعرفوا تأويلها، ففسرها له رجلًا مسلمًا عالمًا بتعبير الرؤيا فقال تأويل هذه الرؤيا من كتاب الله العزيز وهو قوله تعالى ((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ)) (**سورة الفيل، الآية 1**) وقوله تعالى ((فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَالِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ)) (**سورة المُدَّثِّر، الآيات 8-9-10**) وتدل الرؤيا على بلاء عظيم، وتقتضي هلاك هذا الجيش الذي تجمعه. (انظر: **الكامل في التَّاريخ**،مج10، ص153 ؛ **الرَّوض المعطار**، ص289-290).

3- **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق إحسان عبَّاس، دار الثقافة، بيروت، 1998م، ط5، ج4، ص134 ؛ حسن أحمد محمود، **المرجع السَّابق**، ص272 ؛ نجيب زبيب: **الموسوعة العامَّة لتاريخ المغرب والأندلس**، تقديم أحمد بن سودة، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، 1995م، ط1، ج2، ص272.

كان ألفونسو حانقًا على ابن عبَّاد حليفه السَّابق، وبعث إليه[1] وإلى حليفه الجديد الأمير يوسف بن تاشفين برسالة يتوعدهما الهزيمة السَّاحقة[2]، وبالإقبال إلى منازلتهما أينما كانوا قائلا: "إنَّ صاحبكم يوسف قد تعنى من بلاد بعيدة، وخاض البحور، وأنا أكفيه العناء فيما بقي، ولا أكلفكم تعبًا، أمضي إليكم وألقاكم في بلادكم رفقًا بكم وتوفيرًا عليكم"[3]. وقال لأهل ودِّه ووزرائه بأنَّه اختار الخروج لمقاتلة أعدائه في أرضهم لكي لا تُخرِّب الحرب بلاده، فإن انهزم جيشنا نرجع إلى ديارنا، ويكتفي المسلمون بما نالوه، وإذا انتصرنا حدث ذلك في أرض أعدائنا[4]، واتجهت حشود

1- نشير إلى أنَّ ملك قشتالة ألفونسو السَّادس بعد استيلاءه على مدينة طليطلة سنة 479هـ/1086م، شنَّ الغارات على جميع بلاد الأندلس، وهدَّد أمراءها خاصةً أقواهم المعتمد بن عبَّاد صاحب اشبيليَّة، وبعث له رسالة يطلب فيها أن يتخلى له على قلاع وحصون على الحدود، فرد عليه المعتمد برسالة بيَّن فيها أنَّه لن يرضخ لأوامره، وسوف يقف له بالمرصاد. (عن نص الرِّسالة، ورد ابن عبَّاد، انظر: **الحُلل الموشيَّة**، ص38 وما بعدها).

2- ثارت ثائرة ألفونسو السَّادس لمَّا رفض ابن عبَّاد مطالبه، وحينما قتل رسوله اليهودي ابن شليب ومن معه عندما أغلظ القول معه، وزحف بجيشه نحو اشبيليَّة فخرب ودمر حتَّى وصل إلى جزيرة طريف أقصى جنوب الأندلس، ومن هناك بعث رسالة إلى الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين ببلاد المغرب يتوعده بالهزيمة في حالة عبوره لنجدة إخوانه بالأندلس، وقد رد الأمير يوسف عليه برسالة مختصرة على ظهر كتابه.(عن نص رسالة ألفونسو ليوسف). (انظر: ابن الخطيب،**الإحاطة**،ج4، ص351).

3- ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج4، ص134 ؛ المقرِّي، **نفح الطِّيب**، مج4، ص363 ؛ السَّلاويّ، **الاستقصا**، ج2، ص39.

4- الحِميري، **الرَّوض المعطار**، ص289 ؛ عبد الله جمال الدِّين: **تاريخ المسلمين في الأندلس (93-97)هـ**، منشور ضمن **موسوعة سفير للتَّاريخ الإسلاميّ**، شركة سفير، القاهرة، د.ت، ص96.

النَّصارى بقيادة ألفونسو السَّادس نحو بطليوس، وخيَّم بجيشه في بطحاء الزَّلاقة على بعد ثلاثة أميَّال من الجيش المسلم، يفصل بينهما نهر بطليوس الذي يشرب منه المتحاربون[1].

3-3- وقائع المعركة:

وصلت الجيوش المتحاربة إلى بطحاء الزَّلاقة، وعسكرت على مقربة من بعضها البعض وأقاموا ثلاثة أيَّام والرُّسل تختلف بينهم[2]، وعملًا بمقتضيات الشريعة الإسلاميَّة كتب الأمير يوسف إلى ملك قشتالة ألفونسو السَّادس كتابًا يعرض عليه الدخول في الإسلام أو دفع الجزية أو الحرب فرفض الاقتراحين الأوَّل والثَّاني واختار الحرب[3].

وقبل بداية المعركة رد الأمير يوسف على رسالة ألفونسو السَّادس التي هدَّده فيها بالهزيمة الساحقة في عقر داره، وممَّا جاء فيها "بلغنا يا أذفنش أنَّك دعوت في الاجتماع بك، وتمنيت أن يكون لك فُلكٌ تعبر البحر عليها إلينا، فقد أجزناه إليك، وجمع الله في هذه العرصة بيننا وبينك وسترى عاقبة دعائك[4]" ((وَمَا دُعَاءُ الكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ))[5]. فلمَّا وصل الكتاب إلى ألفونسو جاش بحر غيظه، وزاد في طغيانه وكفره وقال:"أبمثل هذه المخاطبة يخاطبني، وأنا وأبي نغرم الإتاوة

1- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص146 ؛ بطرس البستاني: **معارك العرب في الأندلس**، منشورات دار المكشوف، بيروت، 1950م، ط1، ص25.

2- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص146 ؛ السَّلاوي، **الاستقصا**، ج2، ص40 ؛ محمَّد عبد الله عنان، **دول الطَّوائف**، ص323.

3- الحِميري، **الرَّوض المعطار**، ص290 ؛ المقرّي، **نفح الطِّيب**، مج4، ص364.

4- **الحُلل الموشيَّة**، ص53 ؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مج7، ص116.

5- **سورة غافر، الآية 50**.

لأهل ملته منذ ثمانين سنة"[1]، وردَّ عليه بكتاب غليظ يفيض بالوعيد وقال لرسول الأمير يوسف "قل للأمير لا تُتعب نفسك أنا أصل إليك[2]"، وأقسَّم أنَّه لا يبرح من موضعه حتَّى يلقاه[3].

كانت الأحوال تُنذر بأنَّ المعركة سوف تكون حامية الوطيس، نتيجة تمسك كل طرف بإحراز النَّصر وإلحاق الهزيمة بخصمه، وكذلك لكثرة الجيوش المحتشدة من كلا المعسكرين ويصف لنا ابن خلكان ضخامة هذه الجيوش بقوله "ولم تزل الجموع تتآلف وتتدارك إلى أن امتلأت جزيرة الأندلس خيلًا ورِجالًا من الفريقين[4]" وكان جيش النَّصارى حسب معظم المؤرخين أكثر عددًا من جيش المسلمين، ويقول المؤرخ أشباخ في هذا الشأن أنَّ جموع فرسان النَّصارى لا تدرك نهايتها الأبصار[5].

وحاول ألفونسو بمكره الشديد خداع المسلمين في تحديد يوم المعركة، فكتب إلى الأمير يوسف يوم الخميس يقول له: "إنَّ غدًا يوم الجمعة، ولا نحب مقاتلتكم فيه لأنَّه عيدكم، وبعده السبت يوم عيد اليهود، وهم كثيرون في محلتنا، وبعده الأحد عيدنا، فنحترم هذه الأعياد ويكون اللِّقاء يوم الاثنين[6]" فأجاب الأمير يوسف بقوله أتركوا اللَّعين وما أحب"[7].

1- **الحُلل الموشيَّة**، ص53 ؛ فلنتيا سليمان عفانة: **مملكة اشبيلية زمن بني عبَّاد وعلاقاتها الداخليَّة والخارجيَّة 414-484هـ/1023-1069م**، رسالة ماجستير في التَّاريخ الإسلاميّ، كلية الدِّراسات العليا في جامعة النَّجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2003م، ص154.

2- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص146.

3- ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 116/7.

4- **وفيات الأعيان**، مج7، ص116.

5- **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ج1، ص85.

6- **الحُلل الموشيَّة**، ص57 ؛ المقرِّي، **نفح الطِّيب**، مج4، ص365.

7- **الحُلل الموشيَّة**، ص57.

وقد تفطن المعتمد بن عبَّاد لمكيدة ألفونسو، وقال للأمير يوسف "هذه خديعة من ابن فرديناند، إنَّما يريد غدر المسلمين فلا تطمئن إليه وليكن النَّاس على استعداد له طوال يوم الجمعة على احتراس كبير[1]"، وبالفعل كانت عيون معسكر المعتمد بن عبَّاد يقظة، حيث أرسل طلائع من جيشه لرصد تحركات العدوِّ، وأثناء اللَّيل عاد فارسان يخبران المعتمد ببدء تحرك العدوِّ نحوهم[2]وعند ذلك بعث ابن عبَّاد كاتبه أبا بكر بن القصيرة إلى محلة الأمير يوسف يخبره بقدوم العدوِّ فقال له "قل له أني سأقرب منك إن شاء الله"[3].

ووقع الصِّدام بين قوى النَّصارى والمسلمين صباح يوم الجمعة 12 رجب سنة 479هـ الموافق ل 23 أكتوبر 1086م[4]، وكان أوَّل من تصدى لجيش النَّصارى المعتمد بن عبَّاد لأنَّه كان في مقدمة جيش المسلمين[5]، وكان يقود القوَّات الأندلسيَّة، ووقعت معركة ضارية بين الطرفين وكان هجوم النَّصارى عنيفًا، ويصفه صاحب الحُلل الموشيَّة بقوله "وغشيهم خيل العدوِّ كالسَّيل وعمَّتهم

1- الحِميري، **الرَّوض المعطار**، ص290.

2- يذكر الحِميري أيضًا أنَّ رُسل المعتمد بن عبَّاد أخبرته أنَّ ألفونسو السَّادس كان يقول لأصحابه اقضوا على ابن عبَّاد أولًا لكونه صاحب المبادرة في إشعال الحرب وهو من استدعى هؤلاء الصحراويون، وتخلصكم منه يهون عليكم القضاء على باقي جيوش المسلمين. (انظر: الحِميري، **الرَّوض المعطار**، ص290).

3- الحِميري، **الرَّوض المعطار**، ص291.

4- ابن الأبَّار، **التَّكملة لكتاب الصِّلة**، ص29؛ ابن الخطيب،**الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج4، ص351. (في حين يرى ابن الأثير أنَّ المعركة حدثت يوم الجمعة العشر الأوَّل من رمضان سنة 479هـ الموافق ل 17 ديسمبر 1086م). (انظر: **الكامل في التَّاريخ**، مج10، ص154).

Philippe Conrad : **Histoire de la Reconquista**, isbn, 2emédition, 1999, p58.

5- كان الأمير يوسف قد قسَّم جيشه إلى خمسة أقسام، وضع المعتمد بن عبَّاد في المقدمة، والمتوكِّل بن الأفطس في الميمنة وأهل شرق الأندلس في الميسرة، وسائر أهل الأندلس في الساقة، والمرابطون وأهل العُدوة كمائن متفرقة. (انظر: **الحُلل الموشيَّة**، ص59).

كقطع اللَّيل[1]"، وأسفر هذا الهجوم على اختلال التوازن في صفوف القوَّات الأندلسيَّة، بحيث فرَّ معظمها نحو أسوار بطليوس للاحتماء بها[2]، ولم يثبت منهم سوى المعتمد بن عبَّاد وفرسان إشبيلية، ورغم إحاطة العدوِّ بهم من كل صوب إلَّا أنَّهم كانوا يقاتلون كالأسود المجروحة[3]، وأبلى المعتمد بلاءً حسنًا واستطاع أن ينقذ شرف الأندلسيِّين بثباته في ميدان المعركة[4].

وإثر هذه الظروف الصعبة أرسل الأمير يوسف قائده داود بن عائشة مع فرسانه لنجدة ودعم الأندلسيِّين وقوات المعتمد التي تنفست الصعداء بمجيء هذا المدد، وصمد داود أمام هذا الهجوم وأرغم النَّصارى على الارتداد إلى خط دفاعهم الثَّاني[5] ولكن كلفه ذلك خسائر فادحة في قواته[6].

وأيقن ألفونسو ببلوغ النَّصر حينما رأى مقاومة المسلمين تضعف أمامه، وظنَّ أنَّه خاض المعركة مع قوى المسلمين جميعًا، ولم يكن يعلم بأنَّ قوَّات الأمير يوسف بن تاشفين المتوارية وراء جبل يحجبها عن أنظار النَّصارى لم تشارك بعد في المعركة[7]، فتقدم ألفونسو حتَّى صار أمام خيام المرابطين فوثب الجيش المرابطي بقيادة أمير المسلمين وقام بعملية التفاف سريعة باغت فيها العدوِّ

1- **الحُلل الموشيَّة**، ص59.

2- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص147 ؛ محمَّد عبد الله عنان، **دول الطَّوائف**، ص324.

3- أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ج1، ص88.

4- ابن خاقان: **قلائد العقيان في محاسن الأعيان**، قدم له ووضع فهارسه محمَّد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م، ص14 ؛ المقرِّي، **نفح الطِّيب**، مج4، ص366 ؛ حسين مؤنس،**المرجع السَّابق**، ص432 ؛ محمَّد مجيد السَّعيد: **الشعر في ظلِّ بني عبَّاد**، مطبعة النعمان، العراق، 1972م، ط1، ص37.

5- الحِميري، **الرَّوض المعطار**، ص291.

6- يقول صاحب الحُلل الموشيَّة في استشهاد جنود المسلمين "استأثر الله فيها بأرواح شهدت لها الرَّحمة وخطبتها الجنَّة". (انظر: **الحُلل الموشيَّة**، ص59).

7- أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ج1، ص88.

من الخلف واقتحم معسكره، وأضرم فيه النَّار وأباد حراسه[1]، وكانت طبوله تدق بعنف فاهتزت منها الأرض وتجلجلت منها أفئدة العدوِّ، وارتاعت قلوبهم[2]؛ ووصلت إلى ألفونسو أنباء استيلاء المرابطين على معسكره فاضطر للعودة إليه واصطدم بقوات المرابطين ووقعت بينهم معركة كبيرة مُزقت فيها قوات القشتاليّين وألحقت بهم خسائر فادحة، وأظهر جيش المسلمين صبرًا وثباتًا كبيرًا بعد أن شحذ الأمير يوسف همَّمهم، حيث كان يصول ويجول فوق فرسه ويُرغِّب جُنده في الجهاد كما كان يقاتل في مقدمة الصُّفوف وهو ابن التَّاسعة والسَّبعين[3].

واشتد في نفس الوقت هجوم المرابطين بقيادة سِير بن أبي بكر على مقدمة القشتاليّين التي يقودها ألبرهانس، واستردت كذلك جيوش الأندلس إقدامها وشجاعتها وقاتل الجميع في صفوف متراصة متناسقة ثابتة[4]، وأحيط بجيش النَّصارى من كل الجهات، فاضطر ألفونسو للتراجع بعد أن كثر القتل في صفوف قواته[5].

1- ابن الأثير، **الكامل في التَّاريخ**، مج10، ص154 ؛ ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص148 ؛ محمَّد عبد الله عنان، **دول الطَّوائف**، ص324.

2- **الحُلل الموشيَّة**، ص60.

3- ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج4، ص138 ؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج4، ص352 ؛ الحِميري، **الرَّوض المعطار**، ص291.

4- ابتكر المرابطون خطة جديدة في القتال تتمثل في مواجهة العدوِّ في صُفوف مُتراصة مُتناسقة ثابتة، وقد أثبتت هذه الخُطة نجاعتها أمام فُرسان النَّصارى الذين لم يكن لهم عهد بمثلها، إذ كانوا مُعتادين على القتال الفردي. (انظر: محمَّد عبد الله عنان، **دول الطَّوائف**، ص325).

5- الحِميري، **الرَّوض المعطار**، ص291 ؛ المقرّي، **نفح الطِّيب**، مج4، ص368.

وكانت الضَّربة الأخيرة للأمير يوسف أن دفع بحرسه الخاص من السُّودان للقتال، وقوامه أربعة ألاف مقاتل، استطاع أحدهم أن يصل إلى ملك قشتالة ويطعنه بخنجر[1] في فخذه طعنة نافذة، فرَّ على إثرها هاربًا منهزمًا مثخنًا بالجراح[2] مع قلة من فرسانه عددهم حوالي خمسة مئة فارس، واعتصموا بِتلٍ قريب حتَّى دخل الليل وانسلوا إلى مدينة قورية ومنها اتجهوا إلى طليطلة ودخلها ألفونسو بمائة فارس بعد أن مات الباقون في الطَّريق[3].

وأمضى المسلمون اللَّيل في ميدان الحرب يرقبون حركات النَّصارى وفي صباح اليوم التالي قام فرسانهم بمطاردة المتخلفين منهم، وعمدت قوَّات أخرى إلى جمع الأسلاب والغنائم المتمثلة في الأموال والأسلحة والدواب وغير ذلك[4].

1- طُعن ألفونسو السَّادس بخنجر يُدعى الإطاس، وهو خنجر معقوف يستخدم ضدَّ الاصطدام المباشر، وكان ألفونسو يظن أنَّه مِنجل، ممَّا يدل على أنَّ الرُّوم لم يعرفوا هذا النوع من السِّلاح وأنَّه من ابتكار الأمازيغ (البربر). (انظر: بلغيث محمَّد الأمين: **دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي**، دار التَّنوير للنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، 2011م، ط1، ص45).

2- ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج4، ص138.

3- الحِميري، **الرَّوض المعطار**، ص291. (اختلفت المصادر التَّاريخيَّة في ذكر عدد الفرسان الناجين مع ألفونسو السَّادس في معركة الزَّلاقة حيث يرى ابن الأثير أنَّهم كانوا حوالي ثلاثمائة فارس، بينما يرى المرَّاكشي أنَّهم تسعة فرسان فقط؛ واختلفت الرِّوايات أيضًا في تحديد عدد القتلى في الجانبين حيث ذكر ابن أبي زرع بأنَّ عدد قتلى المسلمين كان حوالي ثلاثة آلاف رجل، في حين يذكر ابن الخطيب أنَّ قتلى النَّصارى بلغ حوالي تسعة آلاف رجل، ورغم هذا التباين في الرِّوايات فأنَّ أغلب المصادر التَّاريخيَّة تتفق على أنَّ قتلى النَّصارى يفوق بكثير قتلى المسلمين، وهو ما ذهب إليه ابن بلكين في مذكراته حين قال ولم يُفقد من المسلمين إلَّا الأقل). (انظر: **التِّبيان**، ص106؛ **الكامل في التَّاريخ**، مج10، ص154 ؛ **المُعجب**، ص95 ؛ **روض القرطاس**، ص149 ؛ **أعمال الأعلام**، ص245).

4- ابن الأثير، **الكامل في التَّاريخ**، مج10، ص154.

وذاعت أنباء النَّصر في سائر بلاد الأندلس، واستبشر المسلمون به خيرًا، وبعث المعتمد بن عبَّاد برسالة إلى ولده الرَّشيد يخبره بالواقعة وبالفتح[1]، كما وصلت أخبار النَّصر إلى جميع أنحاء العالم الإسلامي وأرسل الأمير يوسف كتابًا إلى بلاد العُدوة يبشرهم فيه بانتصار المسلمين على أعدائهم[2]، كما كتب المتوكل بن الأفطس وعبد الله بن بلكين وكل من شاهد الحرب كتبهم إلى الأفاق[3]، وعمَّت الفرحة جميع بلاد المغرب الإسلامي والأندلس، واجتمعت كلمة الإسلام، وأخرج النَّاس الصَّدقات، وأعتقوا الرِّقاب شكرًا لله تعالى على صنعه الجميل وفضله[4].

3-4- نتائج المعركة:

ترتب عن نصر "الزَّلاقة" الملحمي نتائج مهمة بالنِّسبة للمسلمين الأندلسيِّين منهم والمرابطين، ففيما يخص أهل الأندلس كانت من بين أهم النتائج عودة الثقة والأمل إلى نفوس أمرائها، وتحررهم من الخضوع لملك قشتالة ألفونسو السَّادس،وتوقفوا عن دفع الإتاوة والتنازل له عن الكثير من الأراضي والحصون كما عادت روح الحماسة الدِّينية لأهل الأندلس، وفرحوا كثيرا بهذا النَّصر، واستعادوا به أمجاد وبطولات أسلافهم[5].

1- عن نص رسالة المعتمد بن عبَّاد إلى ولده الرَّشيد. (انظر: ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج4، ص139 ؛ الحِميري، **الرَّوض المعطار**، ص291-292).

2- عن نص رسالة الأمير يوسف إلى بلاد العُدوة (المغرب). (انظر: ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص150 وما بعدها).

3- **الحُلل الموشيَّة**، ص63.

4- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص150.

5- محمَّد عبد الله عنان، **دول الطَّوائف**، ص362 ؛ حسن أحمد محمود، **قيام دولة المرابطين**، ص286.

وترتب عن هذا النَّصر أيضًا فك الحصار عن الكثير من مدن شرق الأندلس كبلنسيَّة وسرقسطة حيث تفرغت جيوش النَّصارى واستنفرت كامل قوَّاتها لمعركة الزَّلاقة غرب الأندلس[1] بالإضافة إلى استيلاء المسلمين عمومًا وأهل الأندلس خصوصًا على الكثير من الغنائم والأسلاب ويقول صاحب الحُلل الموشيَّة "أنَّ المسلمين امتلأت أيديهم بالغنائم الوافرة، والسبي الكثير واكتسب النَّاس فيها من آلات الحروب والأموال وسيوف الحلي ومناطق الذَّهب والفضة ما أغناهم"[2].

غير أنَّ هذه النتائج الخاصة لا تُعد شيئًا إذا قيست بالنتائج العامَّة البعيدة المدى المتمثلة في إيقاف زحف النَّصارى الجارف على الأندلس المسلمة، بعد أن كان يُنذرها بالمحوِ والفناء العاجل وغنم الإسلام بذلك حياة جديدة في بلاد الأندلس[3].

وكان للأمير يوسف بن تاشفين الدَّور الرئيسي في تحقيق النَّصر في هذه الملحمة الكبرى وإيقاف زحف الصَّليبيّين على بلاد الأندلس، فذاع صيته في سائر أنحاء جزيرة الأندلس، ويذكر ذلك المرَّاكشي بقوله "وأظهر النَّاس إعظامه، ونشأ له الود في الصدور، وكثر الدُّعاء له في المساجد وعلى المنابر[4]". وأيقن أهل الأندلس أنَّه لولا جهاد الأمير يوسف بن تاشفين لضاعت بلادهم وهذا بسبب تمزق صفوف أمرائهم، وتفرق كلمتهم، وعرفوا أيضًا أنَّ المرابطين قوم أقاموا الدِّين

1- ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص92.

2- **الحُلل الموشيَّة**، ص65-66.

3- محمَّد عبد الله عنان، **دول الطَّوائف**، ص362 ؛ سيف الدِّين الكاتب، **أعلام من المغرب والأندلس**، مؤسَّسة عز الدِّين للطِّباعة والنَّشر، بيروت، 1982م، ص11.

4- **المُعجب**، ص95-96.

وتمسكوا بالسُنَّة، ونشروا العدل بين النَّاس، فأرادوا الإقتداء بهم فرفضوا منذ ذلك الحين إعطاء الضرائب المخالفة لتعاليم الإسلام لأمرائهم[1].

وفي المغرب ساعد هذا النَّصر الملحمي الكبير الأمير يوسف بن تاشفين على حل مشاكله الداخليَّة بحيث خضعت له القبائل التي ظلت متردِّدة في ولائها للمرابطين، وبعض القبائل الزنَّاتية الأخرى التي كانت تتربص بهم، فكان نصر الزَّلاقة كفيلًا بترهيبها فعادت إلى طاعتهم من جديد.

وعلى صعيد العالم الإسلاميّ عمَّت الأفراح أرجاءه وأعتقت الرقاب[2] وشُبِّه يوم الزَّلاقة بيوم اليرموك والقادسية، وارتفع شأن المرابطين وأميرهم يوسف بن تاشفين وأثنى عليه العلماء والفقهاء ثناءً كبيرًا، خاصة الإمام أبو حامد الغزالي الذي سُرَّ بهذا النَّصر واعتبر الأمير يوسف المسلم المثالي الذي سيعيد للإسلام سابق عزه وينقذه ممَّا تردى فيه[3].

كما تغنىَّ الشعراء بهذا النَّصر وأنشدوا فيه القصائد الغراء[4] حتَّى ظهر ما يسمى بأدب الزَّلاقة[5]، وأسهب المؤرخون في وصف هذا النَّصر واعتبروه فتحًا عظيمًا للإسلام والمسلمين، ووصفه صاحب الحُلل الموشيَّة بقوله "فيا له من فتح ما كان أعظمه، ويوم كبير ما كان أكرمه، فيوم الزَّلاقة

1- حسن أحمد محمود، **قيام دولة المرابطين**، ص285-286.

2- سعدون نصر الله، **تاريخ العرب السِّياسي في الأندلس**، ص247.

3- حسن أحمد محمود، **قيام دولة المرابطين**، ص284.

4- عن نص القصيدة التي تمدح الأمير يوسف وانتصار المرابطين في معركة الزَّلاقة الملحميَّة. (انظر: ابن بسَّام: **الذَّخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق سالم مصطفى البدري، دار الكتاب العلميَّة، بيروت، 1998م، ط1، ج1، ص593-594).

5- ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج4، ص352 ؛ ليفي بروفنسال: **حضارة العرب في الأندلس**، ترجمة ذوقان قرقوط، مطبعة النجوى، بيروت، د.ت، ص21.

ثبت قدَم الدِّين بعد زَّلاقِها، فجزا الله أمير المسلمين وناصر الدِّين أبا يعقوب يوسف بن تاشفين أفضل الجزاء"[1].

وفيما يخص القوى النَّصرانيَّة فقد أسفرت معركة الزَّلاقة على هزيمة ساحقة لهم، حطَّمت آمالهم في الاستيلاء على الأندلس وطرد المسلمين منها، وقد قال عبد الله بن بلكين في مذكراته أنَّ الرُّوم أَشْرَبَ من تلك الوقيعة خوفًا وإنكماشًا[2].

وحطَّمت هذه المعركة غرور ألفونسو السَّادس الذي كان يتباهى بجيوشه الضَّخمة، والعُدة والعتاد الذي كان يمتلكه، واضطر إلى طلب العون والمدد من خارج الحدود من مختلف دول أوروبا لصدِّ جيوش المرابطين، ولحماية أطراف مملكته[3].

كما نتج عن هذه المعركة مقتل خيرة رجال ألفونسو السَّادس وجميع أَبطاله، وحُماته وقواده[4] ولم ينجوا مع ملك قشتالة ألفونسو السَّادس إلَّا نفرٌ يسيرٌ من أصحابه، ولحسن حظه أنَّ الأمير يوسف فضل عدم تتبع فُلول جيشه المنهزم الذي فرَّ إلى طليطلة للتَّحصن بها[5]، وينقل المؤرخ عبد الله عنان تعليق أحد المستشرقين في وقوف الحظ إلى جانب النَّصارى بعدم استيلاء المسلمين من جديد على مدينة طليطلة جاء فيه "إنَّه كان من حُسن الطالع بالنِّسبة للنَّصارى أنَّ يوسف الظافر في الزَّلاقة قد تلقَّى عقب نصره نبأ وفاة ولده الأمير أبي بكر واضطر أن يعود إلى مرَّاكش تاركًا

1- **الحُلل الموشيَّة**، ص66.

2- **التِّبيان**، ص108.

3- محمَّد عبد الله عنان، **دول الطَّوائف**، ص331.

4- ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، **ص**245-246.

5- يذكر الحِميري أنَّ ابن عبَّاد كان يُحرِّض الأمير يوسف على إتباع جيش ألفونسو السَّادس لقطع دابره، فأبى ابن تاشفين واعتذر بأن قال "إن اتبعناه اليوم لقي في طريقه أصحابنا المنهزمين راجعين إلينا منصرفين فيهلِكهم، بل نصبر بقية يومنا حتَّى يرجع إلينا أصحابنا ويجتمعون بنا، ثمَّ نرجع إليه فنحسم داءه". (انظر: **الرَّوض المعطار**، ص291).

فكرة مطاردة الجيش المنهزم[1]، واجتناء الثمرة التي يمكن أن تُجنى من مثل هذا النَّصر وهي الاستيلاء على طليطلة"[2].

4- الأندلس بعد معركة الزَّلاقة:

حقَّق الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين انتصارات أخرى على نصارى الأندلس لا تقل أهمية عن نصر الزَّلاقة، ففي عبوره الثاني للأندلس تمكن من هزيمة ألفونسو السَّادس ملك النَّصارى في معركة حصن لبيط[3] سنة 481هـ/1088م[4]، وبعد عامين عبر الأمير يوسف مجددًا للأندلس

1- اختلف المؤرخون في تحديد أسباب عودة الأمير يوسف بن تاشفين إلى بلاد المغرب بعد فراغه من معركة الزَّلاقة وامتناعه عن مطاردة ما تبقى من جيش ألفونسو السَّادس المتحصن في طليطلة حيث يقول كلٌّ من ابن أبي زرع وصاحب الحُلل الموشيَّة بأنَّ سبب العودة هو وفاة ابنه الأكبر وولي عهده الأمير أبي بكر الذي تركه مريضًا بمدينة سبتة ؛ ويظهر هذا الاختلاف بصورة أكبر لدى المؤرخون المحدثون فعلى سبيل المثال يرى عبد الهادي التَّازي أنَّ السبب هو وفاة ابنه الأكبر وولي عهده الأمير أبي بكر، بينما يرى حسن أحمد محمود أنَّ سبب العودة هو وفاة ابن عمه الأمير أبي بكر بن عمر وليس ولده أبي بكر، ويمكن استبعاد هذا الرأي على أساس أنَّ الأمير أبي بكر بن عمر توفي في شهر شعبان سنة 480هـ/1087م أي بعد عام من عودة الأمير يوسف إلى المغرب والتي كانت في رجب سنة 479هـ/1086م، وترى عصمت عبد اللَّطيف دَندش أنَّ سبب العودة سياسي وليس عائلي يتمثل في اضطراب أحوال مملكته في الحدود الشَّرقيَّة مع بني حمَّاد الصَّنهاجيّين، وفي الجنوب ببلاد السودان الغربي حيث أعلنت مملكة غانة استقلالها وانفصالها عن الدَّولة المرابطيَّة، وكذلك الخوف من القبائل المغربيَّة التي كانت تتربص بالمرابطين مثل الحموديّين الأدارسة والبرغواطيّين وغيرهم فتوجَّب بذلك على الأمير يوسف العودة إلى بلد المغرب لإخماد هذه الثورات. (انظر: **روض القرطاس**، ص152 ؛ **الحُلل المُوشيَّة**، ص66 ؛ عبد الهادي التَّازي: **تعقيب على عودة ابن تاشفين إلى المغرب بعد الزَّلاقة**، مقال منشور ضمن كتاب للدكتورة دَندش عصمت عبد اللَّطيف بعنوان **أضواء جديدة على المرابطين**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م، ط1، ص68 وما بعدها ؛ حسن أحمد محمود،**قيام دولة المرابطين**، ص286 وما بعدها ؛ دندش عصمت عبد اللَّطيف: **أضواء جديدة على المرابطين**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م، ط1، ص57 وما بعدها).

2- محمَّد عبد الله عنان، **دول الطَّوائف**، ص330.

3- حصن لبيط (Aledo)هو حصن منيع على رأس جبل شاهق بناه ألفونسو السَّادس إثر استيلائه على مدينة طليطلة سنة 478هـ/1085م، يقع بين مدينتي مرسيَّة ولورقة وهو أقرب إلى هذه الأخيرة بينه وبينها مسيرة نصف يوم، وهو يتوسط بلاد المسلمين في شرق الأندلس ممَّا سهَّل على سراياه أن تشن غاراتها على الأراضي الإسلاميَّة في تلك الأنحاء. (انظر: **الحُلل الموشيَّة**، ص67 ؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج4، ص352 ؛ دوزي رينهرت: **المسلمون في الأندلس**، ج3، ص137-138 ؛ محمَّد عبد الله عنان: **دول الطَّوائف**، ص334 وما بعدها).

4- ابن أبي زرع،**روض القرطاس**،ص152-153 ؛ أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**،ج1،ص95.

للمرة الثالثة واستولى عليها، حيث قام بالقضاء على دويلات الطَّوائف الأولى بعد أن ثبت للعيان خيانة أمرائها بتعاونهم مع النَّصارى ضدَّ المسلمين، وبعد صدور فتاوى فقهاء الأندلس وكذلك علماء المغرب والمشرق الإسلاميين أمثال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي وكبير فقهاء المذهب المالكي أبو بكر الطُرطوشي بشرعية خلع هؤلاء الأمراء المتخاذلين[1].

ويعتبر استيلاء الأمير يوسف بن تاشفين ابتداء من سنة 483هـ/1090م على جميع بلاد الأندلس ما عدا إمارة بني هود بسرقسطة التي أعلنت الهدنة والسَّلم معه،بداية لفترة حكم المرابطين وإعلانًا لنهاية فترة دويلات الطوائف الأولى في الأندلس[2].

وخلال عبوره الرابع والأخير لبلاد الأندلس سنة 496هـ/1103م[3] قام الأمير يوسف بن تاشفين بالعديد من الأعمال الهامة، حيث قام بتفقُّد أحوال الإدارة وبتنظيم شُؤونها[4]، وعقد البيعة لولده أبي الحسن علي، وهذا لأجل الحفاظ على استقرار أمور الحكم بعد وفاته[5]، كما قام في تلك

1- ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**،ص250 ؛ محمَّد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس– العصر الثَّالث– عصر المرابطين والموحِّدين في المغرب – القسم الأوَّل عصر المرابطين وبداية الدَّولة الموحِّدِية**، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990م، ط2، ص41ومابعدها ؛ حامد محمَّد خليفة: **يوسف بن تاشفين موحد المغرب وقائد المرابطين ومنقذ الأندلس من الصَّليبيِّين 400–500هـ= 10091106م**، دار القلم، دمشق، 2003م، ط1، ص305.

2- **الحُلل الموشيَّة**، ص74-75 ؛ ابن عذارى، **البيان المُغرب**، ج4، ص42 ؛ أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ج1، ص109.

3- مجهول، **الحُلل الموشيَّة**، ص77 ؛ ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص156 ؛ ابن الخطيب:**الإحاطة في أخبار غرناطة**، حقَّق نصه ووضع مقدمته وحواشيه محمَّد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1974م، ط2، مج2، ص521.

4- أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ج1، ص117 .

5- اشترط الأمير يوسف على ولده علي من أجل تقديمه لولاية العهد مجموعة من الشروط أهمها: ترتيب سبعة عشر ألف فارس موزعة على قواعد الأندلس، يكون منها في إشبيلية سبعة آلاف فارس، وبقرطبة ألف فارس، وبغرناطة ألف فارس، وأربعة آلاف فارس في شرق الأندلس، وباقي العدد يوزع على ثغور المسلمين للمرابطة في الحصون المجاورة للعدو. (انظر: مجهول، **الحُلل الموشية**، ص80). (يظهر جليًا من خلال هذا الشرط اهتمام الأمير يوسف الكبير بحماية الثُغور، وجهاد العدو النصراني).

الفترة بتحصين الثُّغور، وجهزَّ لذلك جيشًا كبيرًا خاض معارك عديدة مع النَّصارى استطاع من خلالها صدِّهم وإيقاف زحفهم الجرار على بلاد الأندلس والاستيلاء على بعض المدن[1].

وقد انتهج الأمير علي بن يوسف الذي تولى الحكم بعد وفاة والده سنة 500هـ/1106م[2]، نهج والده في محاربة النَّصارى في الأندلس وإعلاء كلمة الجهاد في سبيل الله وعبر للأندلس بدوره أربع مرات،وحقَّق نصرًا مؤزرًا في معركة أُقليش سنة 501هـ/1108م[3] واسترجع سرقسطة من أيدي النَّصارى سنة 503هـ/1110م[4]، واستولى على بعض المدن مثليابرة وإشبونة وشنترين وغيرها، كما استرد الجزائر الشرقيةأو جزر البليار (ميورقة ومنورقة ويابسة) عام 509هـ/1116م واستنقذها من أيدي الغزاة القطلونيّين والجنويّين والبيزيّين[5]، وتمكن من التَّصدي

1- ابن عذارى، **البيان المغرب**، 44/4 ؛ محمَّد عبد الله عنان، **دول الطَّوائف**، ص262 وما بعدها ؛ سعد زغلول عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي المرابطون صنهاجة الصحراء الملثمون في المغرب والسودان والأندلس**، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1995م، ط1، ج4، ص368.

2- ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص252 ؛ الذهبي: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م، ط1، مج34، ص399 ؛ عبد الله كنون:**يوسف بن تاشفين**، منتدى ابن تاشفين المجتمع والمال، المحمديَّة، 2004م، ط2، ص63.

3- ابن القطان، **نُظُمُ الجمان**، ج6، ص64-65 ؛ ميراندا أمبروسيو هويثي: **التَّاريخ السِّياسي للإمبراطوريَّة الموحِّديَّة**، ترجمة عبد الواحد أكمير، منشورات الزمن، المغرب، 2015م، ط2، ص123.

4- ابن الأبَّار، **الحُلَّة السِّيَرَاء**، ج2، ص248 ؛ ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج4، ص53-54.

5- ابن أبي زرع،**روض القرطاس**، ص162 ؛عصام سالم سيسالم، **جُزر الأندلس المنسيَّة (التَّاريخ الإسلامي لجُزُر البليار) 89-685هـ = 708-1287م**، ط1، دار العلم للملايّين، بيروت، 1984م، ص246 وما بعدها.

لحملة ألفونسو المحارب الكبرى على الأندلس سنة 519هـ/1125م[1]، وانتصر في معركة إفراغة سنة 528هـ/1134م[2].

ورغم تحقيق الأمير علي للعديد من الانتصارات المدوية على الممالك النَّصرانية، إلَّا أنَّه انهزم في بعض المعارك، مثل معركة سرقسطة حيث سقطت في يد ألفونسو المحارب سنة 512هـ/1118م[3]،ومعركتي كتندة سنة 514هـ/1120م[4]، والقِلاعة سنة 523هـ/1129م[5].

وحينما أصبح تاشفين بن علي أميرًا على المرابطين خلفًا لوالده علي بن يوسف سنة 537هـ/1142م[6]، لم يعبر إلى بلاد الأندلس لحرب النَّصارى بسبب اشتغاله بحرب الموحِّدين بالمغرب الذين استفحل أمرهم وعظمت شوكتهم[7].

5- العلاقات الخارجيَّة:

كانت علاقة المرابطين بالعباسيِّين في بغداد علاقة ولاء وتبعية، حيث انضمت دولة المرابطين إلى الخلافة العباسية منذ عهد الأمير أبي بكر بن عمر ويوسف بن تاشفين، وقد أرسل

1- **الحُلل الموشيَّة**، ص91 وما بعدها ؛ ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج4، ص69 وما بعدها.

2- ابن القطان، **نُظم الجمان**، ج9، ص235 وما بعدها ؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص245-255 ؛ أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ج1، ص173-174.

3- ابن الأبَّار، **الحُلَّة السِّيراء**، ج2، ص248 ؛ ابن أبي زرع،**روض القرطاس**، ص163 ؛ ابن خلدون، **العِبر**، ج4، ص210 ؛ المقَّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص441.

4- ابن الأثير، **الكامل في التَّاريخ**، مج9، ص206 ؛ المقَّري، **نفح الطِّيب**، مج4، ص460-461 ؛ أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ج1، ص153.

5- ابن الأبَّار، **التَّكلمة لكتاب الصِّلة**، ص174 ؛ ابن القطان: **نُظم الجمان**، ج6، ص152 وما بعدها.

6- تولى الأمير تاشفين بن علي إمارة المرابطين مدَّة سنتين من سنة537هـ/1142م إلى غاية سنة 539هـ/1144م. (انظر: ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص263-264 ؛ ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص165-166).

7- **الحُلل الموشيَّة**، ص121.

الخليفة العباسي لهذا الأخير تقليدًا واعترف بشرعية حكمه، فتلقب بلقب أمير المسلمين وناصر الدِّين، وقد وضع المرابطون أسماء الخلفاء العباسيّين في السِّكة، ودعوا لهم في المنابر، وبقيت العلاقات ودية حتَّى انقراض دولة المرابطين[1].

وفيما يخص علاقة المرابطين وهم صنهاجة الجنوب بأبناء عمومتهم الزيريّين والحمَّاديّين وهم صنهاجة الشمال، فقد كانت سلمية وغير عدائية إلى حد بعيد، فالبنسبة للدَّولة الزيرية في المغرب الأدنى، لم يكن هناك احتكاك وتماس بينها وبين الدَّولة المرابطية في المغرب الأقصى لأنَّ الدَّولة الحمَّادية في المغرب الأوسط كانت حائلًا بينهما. وعاشتا الدَّولتين الحمَّادية والمرابطيَّة في أمن وسلام، حيث رضي كلا الطرفين على الحدود التي تملكها دولته، باستثناء محاولة الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين في بداية حكمه التَّوسع في المغرب الأوسط للتَّخلص من قبائل زناتة التي لجأت لهذه البلاد وكانت تهدِّد الدولة المرابطيَّة، وقد تصدى الحمَّاديون لأطماعه فتراجع الأمير يوسف عن طموحه. وشغل المرابطون أنفسهم بالجهاد في الأندلس، بينما تفرغ الزيريون والحمَّاديون لمحاربة الأعراب في بلاد المغرب، وبذلك كان السِّلم والموادعة هي السِّمة التي غلبت على العلاقات بين الدَّولة المرابطية وهاتين الدولتين[2].

وعن علاقة دولة المرابطين بالممالك النَّصرانية في الأندلس فقد كانت علاقة عداء وحرب شديد مع جميع هذه الممالك قطالونية والبرتغال وخاصةً مملكتي قشتالة وأراغون اللَّتين دخلتا مع المرابطين في معارك وحروب كثيرة. وبدأ هذا العداء لما عبر المرابطون إلى الأندلس لنجدة دويلات

1- حمدي عبد المنعم محمَّد حسين: **التَّاريخ السِّياسي والحضاري للمغرب والأندلس فيعصر المرابطين**، دار المعرفة الجامعيَّة، مصر، 2008م، ص235 وما بعدها.

2- عبد الحليم عويس: **دولة بني حمَّاد صفحة رائعة من التَّاريخ الجزائري**، دار الصحوة للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، دار الوفاء للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، المنصورة، 1991م،ط2،ص179 وما بعدها.

الطَّوائف من الزحف الصَّليبي على أراضيهم، وانتصارهم المدوي على ملك قشتالة ألفونسو السَّادس في معركة الزَّلاقة الشهيرة سنة 479هـ/1086م بقيادة الأمير يوسف بن تاشفين، وقد استمرت علاقة العداء والحروب بينهما في عهد الأمير يوسف وولده علي، حيث قاد العديد من المعارك لرد عدوان النَّصارى على بلاد المسلمين وكان النصر تارةً للمرابطين وتارةً أخرى للمالك النَّصرانيَّة[1].

أما علاقتهم بالموحِّدين فقد كانت علاقة حرب وعداء أيضًا، فمنذ ظهور ابن تومرت على مسرح الأحداث في مطلع القرن السَّادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) والموحِّدين يحاربون المرابطين بالنَّشاط الدعوي والسِّلاح وخاضوا معهم معارك عديدة في المغرب والأندلس إلى أن تم القضاء على دولتهم بصفة نهائية بقيادة عبد المؤمن بن علي الكومي في سنة 541هـ/1147م[2].

6- سقوط الدولة:

بعد وفاة الأمير علي بن يوسف بن تاشفين سنة 537هـ/1142م[3]، بدأت سلطة المرابطين في الأندلس بالضعف الشديد، وتدهورت أكثر فأكثر بعد وفاة الأمير تاشفين بن علي سنة 539هـ/1144م[4].

وقد سقطت دولتهم بصفة كاملة في بلاد المغرب والأندلس عام 541هـ/1147معلى يد الموحِّدين بقيادة الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي[5]. وبقي فقط بنو غانية وهم بقايا المرابطون،

1- حمدي عبد المنعم محمَّد حسين، **المرجع السَّابق**، ص153 وما بعدها.

2- **الحُلل الموشيَّة**، ص137 وما بعدها.

3- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص165.

4- ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج4، ص125-126.

5- **الحُلل الموشيَّة**، ص137 وما بعدها.

حكموا مدن عديدة في الأندلس مدةً من الزمن مثل قرطبة وغرناطة وغيرهما،وحكموا مدَّة طويلة الجزائر الشرقية ابتداءً من سنة 520هـ/1126م[1].

المحاضرة الحادية عشر: دويلات الطَّوائف الثانية في الأندلس

كانت بلاد الأندلس في نهاية حكم المرابطين تمر بأشد الفترات التَّاريخيَّة الحرجة، حيث أصبحت هذه البلاد في حالة اضطراب وفوضى كبيرة جدًا، وقد أطلق عليها المؤرخون المحدثون اسم عصر الطَّوائف الثَّاني[2]، لأنَّ الفترة شبيهة إلى حد كبير بعصر الطَّوائف الأولى والتي ظهرت مباشرة بعد سقوط الخلافة الأمويَّة سنة 422هـ/1031م[3]، وهذا الشبه مقرون بالخصوص بالحالة السِّياسيَّة المضطربة بظهور العديد من الثائرين على السلطة الحاكمة آنذاك، وقد استقل كل واحد منهم بمدينة من المدن، وجعل نفسه أميرًا عليها.

1- ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج5، ص239 ؛ **تاريخ ابن خلدون**، ج6، ص325 وما بعدها ؛ عصمت عبد اللَّطيف دندش: **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحِّدين، عصر الطَّوائف الثَّاني 510هـ-546هـ/1116م-1151م**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ط1، ص75 وما بعدها ؛ محمود علي مكي: **وثائق تاريخيَّة جديدة عن عصر المرابطين، مكتبة الثقافة الدِّينيَّة**، القاهرة، 2004م، ط1، ص54-55 ؛ عصام سالم سيسالم، **جُزر الأندلس المنسيَّة**، ص274 وما بعدها.

2- عصمت عبد اللَّطيف دندش،**الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحِّدين**، ص9. (غير أنَّ المستشرق مونتغمري وات يقول أنَّ تسمية هذه المرحلة بعصر الطَّوائف الثَّاني غير موفق تمامًا، فرغم حصول بعض التَّفكك إلى دويلات بزعامة حكام صغار، لكن هؤلاء لم يكونوا يمثلون طوائف كما كانت الحال بالنِّسبة إلى حكام الدويلات التي ظهرت عندما انهارت الخلافة الأمويَّة، فقد أصبح بعض حكام هذه الدويلات بعد سنة 539هـ/1145م تابعين للموحِّدين، والبعض الآخر تابعًا لعدد من ملوك النَّصارى). (انظر: **في تاريخ اسبانيا الإسلاميَّة (مع فصل في الأدب بقلم بيير كاكيا)** ترجمة محمَّد رضا المصري، شركة المطبوعات للنَّشر والتَّوزيع، 1998م، ط2، ص113).

3- ابن الوردي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص319.

ويصف المرَّاكشي أحوال هذه البلاد في أواخر عهد الأمير علي بن يوسف بقوله واختلت أحوال جزيرة الأندلس اختلالًا مفرطًا، أوجب ذلك تخاذل المرابطين وتواكلهم، وميلهم إلى الدِّعة وإيثارهم الراحة وطاعتهم النِّساء[1]، فهانوا على أهل الجزيرة، وقلُّوا في أعينهم واجترأ عليهم العدوّ، واستولى النَّصارى على كثير من الثغور المجاورة لبلادهم[2].

ويصف هذه الأحوال أيضًا ابن الخطيب بقوله "اضطرب أمر المرابطين في الأندلس، وضعفوا وكثُرت الفتن والثوَّار، واغتنم العدوُّ ذلك، فاستولى على البلاد، واشتهر ظهور الدَّولة الموحِّديَّة بالمغرب، فتعلقت أمال المسلمين بهم، واستصرخهم النَّاس، وثاروا بمن ببلادهم من المرابطين"[3].

1- **المُعجب**، ص146. (لم ترد هذه الاتهامات والادعاءات بكون المرابطين بالغوا في طاعة نساءهم، وسلَّموا مقاليد الحكم لهنَّ إلَّا في كتاب المُعجب، وعبد الواحد المرَّاكشي نشأ وخدم في البلاط الموحِّدي، فلا يخفي ما لهذه الاتهامات من أغراض دعائية لصالح الموحِّدين. وبالنِّسبة لكتب التراجم والتَّاريخ، ودواوين الشعر فلم تذكر هذا الأمر، بل ذكرت بعض المصادر نساء المرابطين بالخير والفضل مثل زينب النَّفزاويَّة، وزينب بنت إبراهيم بن تيفلويت زوجة الأمير تميم، وحواء بنت تاشفين وغيرهن. (انظر: عصمت عبد اللَّطيف دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحِّدين**،ص28-29).

2- **المُعجب**، ص146. (وقد تحامل ابن الكردبوس أيضًا على المرابطين كثيرًا، ومعروف عنه أيضًا أنَّه من المؤرخين المعاصرين لقيام دولة الموحِّدين، وكان متعاطفًا معهم كثيرًا، حيث قام بوصف المرابطين بأبشع الصِّفات منها قوله "ولم يراقبوا الله في عباده كثيرًا ولا قليلًا، وصاروا كالأنعام بل هم أضل سبيلًا، إلى أن جاء الله تعالى بالإمام المعصوم المهدي رحمه الله فأوضح من الدِّين معالمه وجدَّد منه مراسمه، وأظهر آياته). (انظر:**تاريخ الأندلس**، ص124).

3- **تاريخ إسبانية الإسلاميَّة**، ص265.

ومن أهم الأحداث السِّياسية التي حدثت في الأندلس في هذه الفترة العصيبة نذكر:

- هجوم النَّصارى على المدن والقلاع والحصون المجاورة لبلادهم واستيلائهم عليهاخاصةً بعد وفاة الأمير تاشفين بن علي في موقعة وهران في 27 رمضان سنة 539هـ/23 مارس 1145م[1] وسحب عدد كبير من القوَّات المرابطيَّة إلى المغرب لمحاربة الموحِّدين الذين استفحل أمرهم كثيرًا[2].

- اندلاع الثورات والفتن الدَّاخليَّة بالأندلس وأخطرها على الإطلاق ثورة المريدين[3] التي ظهرت بمدينة شِلب بزعامة أبي القاسم بن قسي[4]،ثمَّ شملت جميع شبه الجزيرة الأندلسيَّة كلها، وكان ظهورها حينما بدأت الدَّولة المرابطيَّة في المغرب بالانهيار، و ذلك بمقتل الأمير تاشفين بن علي

1- يقول ابن الخطيب أنَّ الأندلس آنذاك لفحت بها جُدُرَ الثوَّار، وأصبحت دار البوار، ويردف هذا القول ببيتين شعريين يصوِّر الوضع المزري نظرًا لغياب الأمير تاشفين بن علي عن حكم هذه البلاد:

إذا غابَ الهِزَبْرُ الوَرْدُ يومًا أحُو الفتكات والنَّفس البئيسَهْ

ولم يحمِ الفريسةَ مُسْتَطِيلًا تزاحمت الذيابُ على الفريسَهْ

(انظر: **تاريخ إسبانية الإسلاميَّة**، ص248).

2- يذكر ابن سماك العاملي أنَّ أهل الأندلس ثاروا على المرابطين لكونهم أخلوها من حُماتها وأسلحتها. (انظر: **الحُلل الموشيَّة**، ص203).

3- يُطلق اسم المريدون في ذلك العصر على أتباع شيوخ الجماعات الصوفيَّة التي كثرت آنذاك بجميع بلاد الأندلس، ومن أشهر زعماء المريدين وشيوخها أبي العباس بن العريف، وأبي القاسم بن قسي، وأبي الحكم بن برَّجان وغيرهم، ولم يكتف المريدون بالزهد والعبادة، بل تحولت بعض فرقهم إلى جماعات من المحاربين الذين يطلبون الملك، فحاربوا بذلك المرابطين وتمكنوا من الاستيلاء على الكثير من مدن الأندلس، ولم يتجه أحد منهم إلى الجهاد ضدَّ النَّصارى مع اتساع ميدانه إذ ذاك، وكانت نهايتهم بقضاء الموحِّدين عليهم. (انظر: ابن الأبَّار، **الحُلة السِّيراء**، ج2، ص204 ؛ ابن الخطيب، **تاريخ إسبانية الإسلاميَّة**، ص248، وما بعدها).

4- أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسي، يرجع نسبه إلى أصل نصراني، فهو من المَولدين، نشأ في أحواز مدينة شِلب واشتغل فيها بداية أمره مشرفًا على الأعمال المخزنيَّة (المالية أو الحكوميَّة) ثمَّ اعتنق طرائق الصوفيَّة، وتبحر فيها حتَّى غدا من شيوخها، له كتاب "خلع النَّعلين"، قتله أهل شِلب في جمادى الأولى سنة 546هـ/أوت 1151م. (انظر: ابن الأبَّار، **الحُلة السِّيراء**، ج2، ص197 وما بعدها ؛ ابن الخطيب، **تاريخ إسبانية الإسلاميَّة**، ص248 وما بعدها).

سنة 539هـ/23 مارس 1145م[1]، واستفحل أمر هذه الثورة العارمة بالأندلس ولم يتمكن المرابطين من إخضاعها، وقد استطاع الكثير من شيوخ المريدين وزعمائهم الاستيلاء على الكثير من مدن بلاد الأندلس[2].

– قيام القضاة[3] بالثورة على السلطة المرابطية، وكان أخطرها على الإطلاق ثورة القاضي أبي جعفر بن حمدين الذي بايعه النَّاس في الخامس من شهر رمضان عام 539هـ/1 مارس 1145م[4] بالإمارة، فسكن قصر الإمارة بقرطبة وتلَّقب بأمير المسلمين وناصر الدِّين[5] والمنصور بالله[6]، وقد استمرت أيامه إحدى عشر شهرًا إلى أن قضى عليه والي المرابطين يحي بن غانية[7]. ومن بين القضاة الذين ثاروا على المرابطين أيضًا واستولوا على مجموعة من المدن وأعلنوا أنفسهم أمراء عليها،القاضي أبو الحكم بن حسون بمالقة الذي أعلن الثورة على المرابطين والدعوة لنفسه في 13 رمضان 539هـ/9 مارس 1145م فاستولى عليها، وكان له صولات وجولات مع المرابطين

1- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص166 ؛ ابن الخطيب، **تاريخ إسبانية الإسلاميَّة**، ص248 ؛ ابن سماك العاملي، **الحُلل الموشيَّة**، ص205.

2- عن ثورة ابن قسي وباقي شيوخ المريدين. (انظر: ابن الأبَّار، **الحُلة السِّيراء**، ج2، ص197 وما بعدها ؛ ابن الخطيب، **تاريخ إسبانية الإسلاميَّة**، ص248 وما بعدها ؛ محمَّد عبد الله عنان، **عصر المرابطين وبداية الدَّولة الموحِّدِية**، ص307 وما بعدها ؛ عصمت بن اللَّطيف دندش،**الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحِّدين**، ص47 وما بعدها).

3- الملفت للنَّظر أنَّ قادة الثورة ضدَّ المرابطين، لم يكونوا من قادة الجند أو زعمائهم، وإنَّما كان جُلهم أو معظمهم من القضاة والفقهاء، ويبدو أنَّ السبب الرئيسي في ذلك هو المكانة الرفيعة التي كان يتمتع بها هؤلاء القضاة والفقهاء زمن المرابطين، حيث اهتم زعماء هذه الدَّولة بهم وأعطوهم سلطةً ونفوذًا كبيرًا. (انظر: محمَّد عبد الله عنان، **عصر المرابطين وبداية الدَّولة الموحِّدِية**، ص318-319 ؛ عصمت بن اللَّطيف دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحِّدين**، ص95وما بعدها).

4- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص171 ؛ ابن الخطيب، **تاريخ إسبانية الإسلاميَّة**، ص253.

5- ابن الخطيب، **تاريخ إسبانية الإسلاميَّة**، ص253.

6- عصمت عبد اللَّطيف دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحِّدين**، ص77.

7- استعان ابن حمدين بالنَّصارى، وكذلك الموحِّدين إلى أن توفي في مالقة في 19 رجب 546هـ/1 نوفمبر 1151م، ولمَّا استولى الموحِّدون على مالقة نبشوا قبرة وأخرجوا جثمانه وصلبوه.(انظر: ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص253-254).

وعندما اشتد عليه الأمر استنجد بالقشتاليّين، فثارت عليه الرعيَّة وتآمروا عليه وحاصروه في قصبة المدينة، وانتهى أمره بانتحاره في يوم السبت 11 ربيع الأوَّل عام 547هـ/15 جوان 1152م[1]. وثار قضاة آخرون في مدن كثيرة بالأندلس منهم القاضي أبو مروان عبد المالك بن عبد العزيز في بلنسيَّة، والقاضي أبي عبد الله بن أبي جعفر الخُشني بمرسيَّة، والقاضي أبو الحسن علي بن عمر بن أضحى بغرناطة وغيرهم، وقد عان المرابطين كثيرًا من ثورة هؤلاء القضاة خاصةً بعد أن لجأ أكثرهم إلى النَّصارى لمعاونتهم في الاستيلاء على المدن التي ثاروا بها[2].

- انحراف بعض الفقهاء والقضاة عن الجادة وطريق الحق، وفشلهم في أن يكونوا قدوةً حسنةً حيث ظهر للعيان طمعهم للسلطان والأموال والجاه، مستغلين مساندة أمراء المرابطين لهم، وقد ثارت الرعية كثيرًا عليهم، فعمَّت الفوضى والاضطرابات بسبب ذلك في الأندلس، ومن أمثلة سخط الرعية على القضاة، قتل أحد العوام لقاضي قرطبة أحمد بن خلف التَّجيبي في صلاة الجمعة سنة 529هـ/1134م،وفي نفس السنة ثارت العامَّة على قاضي إشبيلية أبي بكر بن العربي وهذا عندما أحدث عقوبات جديدة على الجناة، وكذلك ثورة أهل قرطبة على القاضي أبو الوليد بن رشد في حدود سنة 535هـ/1140م[3].

1- ابن الخطيب، **تاريخ إسبانية الإسلاميَّة**، ص254-255.

2- عن ثورة القضاة بالأندلس زمن المرابطين. (انظر: ابن الخطيب، **تاريخ إسبانية الإسلاميَّة**، ص252 وما بعدها ؛محمَّد عبد الله عنان،**عصر المرابطين وبداية الدَّولة الموحِّدِيَة**،ص312 وما بعدها ؛عصمت عبد اللَّطيف دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحِّدين**، ص76 وما بعدها).

3- ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج4، ص93-94 ؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص252-253 ؛ عصمت عبد اللَّطيف دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحِّدين**، ص35.

– مساندة الرعية لثورتي المريدين والقضاة نتيجة سخطهم على ولاة المرابطين حيث غرق بعضهم في الفساد بانصرافهم لحياة اللَّهو والتَّرف[1]، وتعاملهم بالرشوة واستيلاءهم على أموال النَّاس بالباطل[2]، وكذلك فرضهم للضرائب الباهظة على الرعية[3].

– انتشار الثورات على المرابطين في كافة أرجاء بلاد الأندلس،فبالإضافة لثورتي ابن قسي وابن حمدين فقد ثار عليهم أيضًا ابن وزير شيخ أهل غرب الأندلس، وأبي محمَّد سِدراي، ويوسف البطروجي الثائر بلبلة، ولبيد بن عبد الله صاحب شنترين، وأبي القمر بن عزُّوز صاحب شريشوابن عياض الأمير بشرقي الأندلس،وعلي بن عيسى بن ميمون صاحب جزيرة قادس، والوهبي الثائر بلبلة،ومحمَّد بن عليٍّ بن الحجَّام صاحب بطليوس، وأحمد بن حجر، والشكيباني، ومحمَّدبن المنذر وغيرهم[4].

– ظهور بنو غانية على مسرح الأحداث، وقد حاولوا جاهدين إنقاذ ما تبقى من ملك المرابطين في الأندلس، فدخلوا في صراع مع الثائرين عليهم، كما قاتلوا النَّصارى والموحِّدين تارةً وتحالفوا معهم تارة أخرى، وملكوا مدن عديدة من بلاد الأندلس، خاصةً جزر البليار التي حكموها منذ سنة 520هـ/1126م[5].

1- المرَّاكشي، **المُعجب**، ص146.

2- يصف ابن الكردبوس تلك الأوضاع الصعبة بقوله "وسما المنكر بنفسه، وأناخ الجور بكلكله، وضرب الباطل بجرَّانه". (انظر: **تاريخ الأندلس**، ص124).

3- عصمت عبد اللَّطيف دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحِّدين**، ص45.

4- ابن الخطيب، **تاريخ إسبانية الإسلاميَّة**، ص248.

5- ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج5، ص239 ؛ **تاريخ ابن خلدون**، ج6، ص325 وما بعدها ؛ عصمت عبد اللَّطيف دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحِّدين**، ص75 وما بعدها.

- تدخل الموحِّدون في الأندلس ابتداءً من سنة 541هـ/جوان 1146م[1] بعد اتصال زعماء ثورتي القضاة والمريدين بالخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي، فدخلوا بدورهم في صراع مرير مع المرابطين وبني غانية، ومع زعماء المريدين والقضاة الذين تراوحت علاقتهم بهم بين الولاء والعداء دون أن ننسى قتال الموحِّدين المرير مع الممالك النَّصرانية والمتحالفين معهم مثل إبراهيم بن هَمُشْكُ[2]، وابن مردنيش[3].

1- اختلف المؤرخون في تاريخ تدخل الموحِّدين في الأندلس، ومن قام بالاتصال بهم أول مرة، فيذكر ابن أبي زرع أنَّ أوَّل جيش موحدي يعبر إلى الأندلس كان بعد فتح تلمسان سنة 539هـ/1144م، وقام بفتح مدينة شريش في الأندلس صُلحًا وكان الموحِّدون يُسمون أهل شريش بالسَّابقين الأوَّلين، بينما يقول ابن عذارى وابن خلدون أنَّ أوَّل المتصلين هو قائد الأسطول المرابطي علي بن عيسى بن ميمون صاحب جزيرة قادس سنة 540هـ/1145م ثمَّ اتصل بهم زعيم حركة المريدين أبو القاسم بن قسي، ويرى ابن الأبَّار أنَّ أوَّل المتصلين هو ابن قسي في شهر ربيع الآخر سنة 540هـ/أكتوبر 1145م وتدخلهم العسكري كان في محرم سنة 541هـ/جوان 1146م، وأعتقد أنَّ رأي ابن الأبَّار هو الأرجح، ونستبعد رأي ابن أبي زرع لأنَّ الموحِّدين كانوا آنذاك بأمس الحاجة لأعداد كبيرة من العساكر لكونهم لم يقضوا على المرابطين بصفة تامة.(انظر: **روض القرطاس**، ص188 ؛ **البيان المغرب**، ج5، ص34-35 ؛**تاريخ ابن خلدون**، ج6، ص312 ؛ **الحُلة السِّيراء**، ج2، ص199).

2- هو إبراهيم بن محمَّد بن مفرَّج بن هَمُشْكُ، وهو المعروف بابن هَمُشْكُ، نسبةً إلى جده ذي الأصل الرومي، الذي أسلم على يد أحد ملوك بني هود بسرقسطة، وكان مقطوع الأذنين، وكان معروف بالشجاعة إذا رآه النَّصارى في الحرب عرفوه، وقالوا هَمُشْكُ، أو ها مُشْكُ، وتكتب بالإسبانيَّة (Hamusco) وأصلها بالقشتاليَّة (He mochico) ومعناها هو المقطوع أو المصاب، وأمَّا مقطوع الأذن فهي بالقشتاليَّة (El desorejado). وقد كان إبراهيم دليلًا بالأرض وفارسًا نجدًا، وجبَّارًا، قاسيًا فظًّا، غليظًا، عظيم الجرأة والعبث بالخلق، يُحَرْقُهم بالنار ويطرحهم من الشواهق، خدم النَّصارى، وتقرب إلى ابن غانية بقرطبة وسافر رسولًا بين ابن حمدين وبين ملك قشتالة، ثمَّ اتصل بصهره ابن مردنيش وتحالف معه فعظم شأنَّه بالأندلس. أخرجه الموحِّدون من غرناطة وأعطوه الأمان، وأخذوه إلى مرَّاكش أوائل عام 571هـ/1175م ثمَّ أُسكن مدينة مِكناسة وقد هلك بها بعد مدَّة قصيرة. (انظر: ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973م، ط2، مج1، ص296 وما بعدها).

3- هو أبو عبد الله محمَّد بن سعد الجُذامي بن مردنيش، أو مرذنيش، وهو المشهور بابن مردنيش، تنسبه الرِّوايات الإسلاميَّة إلى قبيلة جُذام العربية، وتقول أنَّ والده سعد كان أميرًا على إفراغة في عهد المرابطين، أمَّا بعض الباحثين المحدثين فينسبونه إلى أصل رومي (بيزنطي) ويقولون أنَّ اسم جده مردنيش ليس اسمًا عربيًا ممَّا ينفي نسبه إلى جُذام، وقد يكون مردنيش دخل في ولاء بعض الجُذاميِّين وانتسب إليهم، واقترحوا أن يكون أصل الاسم (Martinas) أو (Mardonius).وقد كان محمَّد بن سعد بن مردنيش في هيئته ولباسه وسلاحه أقرب إلى النَّصارى، وعلاقته مع ملوكهم كانت جيدة. ثار بشرق الأندلس وامتلك مرسيَّة وبلنسيَّة وأحوازهما، ويعتبر من أخطر وأكبر الثائرين على الموحِّدين في الأندلس، فلم يتمكنوا من القضاء عليه إلَّا بشق الأنفس في عهد الخليفة الثَّاني أبا يعقوب يوسف، حينما حاصروه في مرسيَّة، فتوفي تحت الحصار في العاشر رجب عام 567هـ/6 مارس 1172م وله ثمانية وأربعون عامًا. (انظر: ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين (تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحِّدين)** تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م،ط2، ص65 وما بعدها ؛ ابن الأبَّار، **الحُلة السِّيراء**، ج2، ص232-233، هامش1 ؛ ابن الخطيب، **تاريخ إسبانية الإسلاميَّة**، ص259 وما بعدها ؛ المرَّاكشي، **المُعجب**، ص146-147 ؛ سيمون الحايك: **ابن مَردنيش أو المُوَحِّدُون**، الطبعة البوليسيَّة، لبنان، 1993م، ص33 وما بعدها).

وخلاصة القول فقد عُرف هذا العهد كما أسلفنا الذكر بعصر دويلات الطَّوائف الثانية والذي يُعد هو الآخر من أكثر الفترات السِّياسية إضرابا في الأندلس، وقد أدى هذا الوضع إلى سقوط دولة المرابطين،والتهام الممالك النَّصرانية للكثير من المدن والقلاع والحصون الإسلاميَّة بكافة بلاد الأندلس بالخصوص بالثغر الأعلى، وأعقبه استيلاء الموحِّدين على هذه البلاد تباعًا.

المحاضرة الثانية عشر: الدَّولة الموحِّديَّة في الأندلس

1- تأسيس الدَّولة في بلاد المغرب[1]:

ينتسب محمَّد بن عبد الله المعروف بابن تومرت المؤسِّس الفقهي للدَّولة الموحديَّة إلى قبيلة هرغة البربريَّة وهي إحدى بطون قبيلة مصمودة الكبيرة، ولد في أواخر القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ادعى النَّسب إلى آل البيت عن طريق الأدارسة (بيت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه) ولقَّب نفسه بالمهدي والإمام المعصوم ولكن المؤرخون والمحققون كشفوا كذب ادعاءاته، كان رجلًا فقيرًا اهتم بالعلم وتحصيله فارتحل سنة 500هـ/1106م إلى بلاد الأندلس ثمَّ إلى بلاد المشرق الإسلامي ودرس عند أكبر العلماء هناك، عاد إلى بلاد المغرب والتقى عبد المؤمن بن عليّ الكومي في قرية تاملالت (ملالة) في بجاية سنة 505هـ/1111م فقرَّبه إليه كثيرًا وجعله أكبر تلاميذه، وعاد معه إلى مراكش وشرع في تنظيم دعوته، حيث استقر في منطقة تينملل بالمغرب الأقصى وأظهر العداء الشديد لدولة المرابطين، وبنا رباطًا وكوَّن جماعة سماها الموحِّدون

1- قبل الحديث عن موضوع المحاضرة "الموحِّدون في الأندلس" رأيت أنَّه من الضروري التَّطرق لتأسيس الدَّولة الموحِّدية في بلاد المغرب، وكذلك الحديث عن نظام الحكم والمذهب الذي اتبعه الموحِّدون باختصار.

وأقام تنظيمه على أساس هرمي قمته ابن تومرت المدعى للعصمة والمهداوية، ثمَّ تأتي جماعة أصحاب العشرة وهم أصحابه المقربين مثل عبد المؤمن بن علي الكومي، البشير الونشريسي، وأبو حفص عمر الهنتاني وغيرهم، ثمَّ تأتي جماعة الخمسين وتضم رؤساء القبائل وشيوخها الكبار وفي قاعدة الهرم تأتي جماعة السبعين. وبدأ ابن تومرت نشاطه الدعوي في منطقة السوس حيث قام بنشر نفوذه في المنطقة، وتسلط على النَّاس بأعمال قبيحة وملفقة وهيمن على فكرهم ومشاعرهم حتَّى استعبدهم، وشرع بعد ذلك في حرب المرابطين حيث خاض عدَّة معارك معهم أخطرها معركة البحيرة سنة 524هـ/1130م حيث زحف ابن تومرت وأتباعه على مراكش وفرض عليها الحصار أربعين يومًا ولكنه تعرض للهزيمة في آخر المطاف وقُتل بعض قادته الكبار وجرح هو جروحًا بليغةً توفي متأثرًا بها بعدها بأيام، وقد نجا في المعركة عبد المؤمن بن علي الكومي الذي بايعه الموحِّدون سرًا سنة 524هـ/1130م وعلنًا في سنة 526هـ/1132م[1].

استمر عبد المؤمن في حرب المرابطين واستولى على مناطق كثيرة بالمغرب الأقصى وفرض الحصار على مراكش عدَّة شهور وفتحها سنة 541هـ/1147م وقتل آخر أمراء المرابطين إبراهيم بن تاشفين ووضع حدًا نهائيًا لدولة المرابطين بالمغرب[2].

وتمكن عبد المؤمن أيضًا من القضاء على الدَّولة الحمَّاديَّة في المغرب الأوسط والتي استولى على عاصمتها بجاية بعد عدَّة معارك سنة 547هـ/1152م[3]، كما قضى على النورمان واستولى

1- البيذق: **أخبار المهديين تومرت**، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، المؤسَّسة الوطنيَّة للكتاب، الجزائر، 1986م، ط2، ص11 وما بعدها ؛ ابن أبي زرع، **المصدر السَّابق**، ص172 وما بعدها ؛ عبد المجيد النَّجار: **المهدي بن تومرت – حياته وآراؤه وثورته الفكريَّة والاجتماعيَّة وآثره بالمغرب**، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ط1، ص23 وما بعدها.

2- **الحُلل الموشيَّة**، ص137 وما بعدها.

3- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج9، ص372-373.

على ممتلكات الدَّولة الزيريَّة في المغرب الأدنى وعاصمتهم المهدية سنة 555هـ/1160م[1] وبذلك يستولي الموحِّدون على كافة بلاد المغرب الإسلامي.

2- نظام الحكم والمذهب:

اتبع الموحِّدون النِّظام الوراثي حيث كان الحكم في نسل الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي، وبالنِّسبة لمذهبهم فقد كان خليط من المذاهب فقد أخذوا بعض عقائد المعتزلة، وأخذوا من المذهب الأشعري في مجال الصِّفات، وأخذوا أيضًا من المذهب الشيعي إدعاء العصمة والمهداوية والإمامة،واستخدموا السِّلاح للوصول إلى الحكم على طريقة الخوارج، ومنعوا القياس والاجتهاد وباقي أصول الفقه واكتفوا بالقرآن والسنة وإجماع الصحابة[2].

3- استيلاء الموحِّدين على الأندلس:

تحدثت سابقًا في محاضرة "دويلات الطَّوائف الثانية في الأندلس" عن أوضاع الأندلس المضطربة، واندلا ع العديد من الثورات على الحكم المرابطي خاصةً ثورتي القضاة والمريدين، فأدى ذلك إلى الإسراع في تدخل الموحِّدين في هذه البلاد ابتداءً من سنة 541هـ/1146م.

وقد تشجع الموحِّدون أكثر فأكثر لدخول الأندلس والقيام بأعمال عسكرية بها، حينما اتصل بالخليفة عبد المؤمن بن علي زعماء الأندلس وثوارها وقضاتها وأعلنوا له الولاء والطاعة، مثل

1- يحي بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر القديمة والوسيطة**، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 2007م، ج1، ص146.

2- عبد المجيد النَّجار، **المرجع السَّابق**، ص131 وما بعدها.

زعيم حركة المريدين أبو القاسم بن قسي والقاضي ابن حمدين، والقاضي أبو بكر بن العربي وغيرهم[1].

أرسل الخليفة الموحِّدي عبد المؤمن بن علي سنة 541هـ/1146م لغرض الاستيلاء على الأندلس عدَّة فرق عسكرية، منها جيش بقيادة برَّاز بن محمَّد المسوفي[2]، وجيش آخر بقيادة موسى بن سعيد، ثمَّ جيش ثالث بقيادة عمر بن صالح الصَّنهاجي[3]، وكانت مهمة الموحِّدين في شبه الجزيرة أن يقاتلوا المرابطين والثوار المتحالفين مع النَّصارى[4].

وتمكن الموحِّدون من الاستيلاء على الكثير من المدن، منها طريف، الجزيرة الخضراء، لبلة مارتلة، شِلب، باجة، بطليوس بغرب الأندلس، ثمَّ توجه الجيش الموحِّدي إلى إشبيلية لتخليصها من أيدي المرابطين، فأطبقوا عليها الحصار برًا وبحرًا ودخلوها في يوم الثَّاني عشر من شعبان سنة 541هـ/18 جانفي 1147م[5].

1- ابن الأبَّار، **الحُلة السِّيراء**، ج2، ص199-200 ؛ ابن الخطيب، **تاريخ إسبانية الإسلاميَّة**، ص251 ؛ ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج5، ص33 وما بعدها ؛ **روض القرطاس**، ص190.

2- يُسميه ابن الخطيب إبراهيم بن برَّاز المسوفي، وقال بأنَّ الخليفة عبد المؤمن بعثه لقتال المرابطين بالأندلس في شعبان سنة 541هـ/جانفي 1147م. (انظر: **تاريخ إسبانية الإسلاميَّة**، ص256).

3- ابن خلدون، **العِبر**، ج6، ص312.

4- محمَّد عبد الله عنان، **عصر المرابطين وبداية الدَّولة الموحِّدِية**، ص327.

5- ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج5، ص33 وما بعدها. (غير أنَّ ابن الأبَّار يقول أنَّ افتتاحها كان يوم الثَّالث عشر من شعبان 541هـ/19 جانفي 1147م، في حين اكتفى ابن خلدون بذكر الشهر والسنة وقال فتحت في شهر شعبان 541هـ/جانفي 1147م، واكتفى ابن الأثير بذكر السنة فحسب وقال فُتحت سنة 541هـ/1147م، بينما يرى ابن أبي زرع أنَّه فتحت سنة 540هـ/1146م، وهذا التَّاريخ مُستبعد. (انظر:**الحُلة السِّيراء**، ج2، ص200 ؛ **الكامل في التَّاريخ**، مج9، ص342-343 ؛ **العِبر**، ج6، ص313 ؛ **روض القرطاس**، ص189).

وفي سنة 542هـ/1148م نقض بعض زعماء هذه المدن التي فتحت العهد مع الموحِّدين فأخضعها الجيش الموحِّدي من جديد، واستولوا على مدن أخرى بغرب الأندلس مثل طبيرة وشنتمريَّة الغرب وقادس وغيرها[1]. واستولى الموحِّدون أوائل سنة 543هـ/1148م على قرطبة وقرمونة بالاتفاق مع يحي بن غانية الذي رفض الخضوع لتهديد ملك قشتالة ألفونسو السَّابع مقابل احتفاظه على مدينة جيان[2].

ولم تمض أشهر قلائل حتَّى احتل الموحِّدون مدينة جيان سنة 543هـ/1448م[3]، ثمَّ استولوا على بياسة وأبدة من النَّصارى، وبذلك امتد سلطان الموحِّدين إلى أواسط الأندلس[4]، كما استولوا على غرناطة من المرابطين سنة 551هـ/1156م[5]، والمرية من النَّصارى في شهر ذي الحجة سنة 552هـ/جانفي 1158م[6].

1- ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج5، ص39 ؛ ابن خلدون، **العِبر**، ج6، ص314.

2- نشير إلى أنَّ ملك قشتالة ألفونسو السَّابع استولى على قرطبة أيامًا معدودة، حينما خرج منها يحي بن غانية متجها إلى غرناطة، ولكن الموحدون امتلكوها من جديد في حدود شهر رجب أو شعبان سنة 543هـ/نوفمبر أو ديسمبر 1148م. (انظر: ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج5، ص41 وما بعدها ؛ ابن خلدون، **العِبر**، ج6، ص314-315).

3- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص191. (غير أنَّ أشباخ يقول أنَّ استيلاء الموحِّدين على مدينة جيان كان سنة 544هـ/1149م). (انظر: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ج1، ص239).

4- محمَّد عبد الله عنان، **عصر المرابطين وبداية الدَّولة الموحِّدِيّة**، ص234-235.

5- استولى الموحِّدين على غرناطة وهي آخر معاقل المرابطين بالأندلس، وهذا بعدما تنازل واليها المرابطي ميمون بن بدر اللَّمتوني عنها للموحِّدين سنة 551هـ/1156م وطلب العفو، فحصل على الأمان من الخليفة عبد المؤمن فأصبح بذلك ابنه أبا سعيد عثمان، واليًا على غرناطة ومالقة وسبتة والجزيرة الخضراء. (انظر: ابن الأثير، **الكامل في التَّاريخ**، مج9، ص416 ؛ ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص196 ؛ ابن خلدون، **العِبر**، ج6، ص317 ؛ عبد الحميد حسين أحمد السامرائي،**تاريخ الجهاد الإسلامي في الأندلس**، دار شموع الثقافة للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، 2003م، ط1، ص204).

6- ابن الأثير، **الكامل في التَّاريخ**، مج9، ص416-417. (غير أنَّ ابن عذارى وابن خلدون يقولان أنَّ استرجاع الموحِّدين لمدينة المريَّة كان سنة 551هـ/1157م، بينما يقول ابن أبي زرع أنَّ استرجاعها كان سنة 546هـ/1151م وهو تاريخ مستبعد جدًا وقول ابن الأثير هو الأرجَّح). (انظر:**البيان المغرب**، ج5، ص55-56 ؛ ابن خلدون، **العِبر**، ج6، ص31 ؛ **روض القرطاس**، ص194).

4- عبور الخليفة عبد المؤمن بن علي إلى الأندلس:

حينما استولى الخليفة عبد المؤمن على كامل بلاد المغرب الإسلامي، وهذا بإسقاط دولة بني حمَّاد سنة 547هـ/1152م[1] في المغرب الأوسط وبإجلاء النورمان من المغرب الأدنى سنة 555هـ/1160م[2]، شرع في الإعداد للمشروع العسكري الضَّخم الذي كان ينوي تنفيذه، وهو الدخول إلى بلاد الأندلس والقضاء على الممالك النَّصرانية[3].

وقبل جوازه للأندلس لغرض الجهاد وصدِّ حركة الاسترداد المسيحي، طلب الخليفة عبد المؤمن بناء مدينة جبل طارق وتحصينها[4]، لكي تكون معسكرًا موحِّديًا في الأندلس تنطلق منه الجيوش، وعندما تمَّ بناء المدينة، شرع عبد المؤمن في العبور إلى الأندلس وكان ذلك في شهر ذي القعدة سنة 555هـ/نوفمبر 1160م[5]، ويصف ابن صاحب الصلاة ذلك اليوم بقوله "وكان يومًا

1- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص194.

2- ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج5، ص64 ؛ ابن سماك العاملي، **الحُلل الموشيَّة**، ص232-233 ؛ البيذق، **المصدر السَّابق**، ص115-116.

3- عبد الحميد حسين أحمد السامرائي، **المرجع السَّابق**، ص205-206.

4- يذكر ابن صاحب الصلاة أنَّ الخليفة عبد المؤمن طلب من ابنيه أبا يعقوب يوسف والي إشبيليَّة وأبا سعيد عثمان والي غرناطة بتنفيذ مشروع البناء، بينما يذكر ابن سماك العاملي أنَّ الخليفة عبد المؤمن أمر ببناء حصن في جبل طارق، وقد اختط رسمه بيده، وتولى بناءه أبو سعيد عثمان والي غرناطة والحاج يعيش المهندس، وقد صنع بأعلى الجبل رحى تطحن الأقوات. (انظر: **المن بالإمامة**، ص92 وما بعدها ؛ **الحُلل الموشيَّة**، ص234).

5- ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص92 ؛ ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج5، ص69 ؛ ابن الخطيب، **تاريخ إسبانية الإسلاميَّة**، ص265. (اكتفى ابن سماك العاملي بذكر سنة العبور وهي 555هـ/1160م دون ذكر الشهر، بينما يذكر ابن أبي زرع أنَّ عبوره كان في شهر ذي الحجة سنة 555هـ/ديسمبر 1160م، وينفرد المرَّاكشي بالقول بأنَّ العبور كان سنة 538هـ/1144م وهو تاريخ مستبعد جدًا، والأرجَّح ما أثبتاه في المتن). (انظر: **الحُلل الموشيَّة**، ص234 ؛ **روض القرطاس**، ص200 ؛ **المُعجب**، ص159).

مذكورًا مشهورًا ظهر فيه من فخامة الملك والأمر، ما لم يتقدم في سالف الأزمان ولا تخيل مرآه في الأذهان[1]".

وتمكن الخليفة عبد المؤمن خلال عبوره هذا بتحقيق بعض الانتصارات العسكرية على النَّصارى، مثل فتح حصن أطرانكش من أحواز بطليوس، والانتصار على سرية النَّصارى القادمة من نواحي جيان لتستطلع الأخبار[2] وغيرها. كما قام الخليفة بتنظيم شؤون الأندلس وإصلاح أحوالها وتعيين الولاة في أقاليمها، وقد أكدَّ ذلك المرَّاكشي حينما قال "وأقام عبد المؤمن بجبل الفتح مرتبًا للأمور، ممَّهدًا للمكلة، وأعيان البلاد يفيدون عليه في كل يومٍ إلى أن تمَّ له ما أراده من إصلاح ما استولى عليه من جزيرة الأندلس[3].

وبعد فراغه من هذه الأعمال عاد الخليفة عبد المؤمن إلى المغرب بعد أن مكث بجبل طارق الذي سماه جبل الفتح شهرين[4]، وكانت عودته في شهر محرم سنة 556هـ/جانفي1161م[5] ووصل مرَّاكش عاصمة دولته في شهر ربيع الأوَّل سنة 556هـ/مارس 1161م[6].

وقد ترك قبل عودته إلى بلاد العُدوة، بالأندلس عساكر كثيرة[7] لكي تغزو النَّصارى وتتصدى لزحفهم الجارف على بلاد المسلمين، ويؤكد ذلك المرَّاكشي في قوله ثمَّ كرَّ عبد المؤمن

1- **المن بالإمامة**، ص92.

2- **المن بالإمامة**، ص111.

3- **المُعجب**، ص156.

4- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص200.

5- ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص111.

6- ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج5، ص73.

7- ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص111.

راجعًا إلى مرَّاكش بعدما ملأ ما ملكه من أقطار جزيرة الأندلس خيلًا ورجالًا من المصامدة والعرب[1] وغيرهم من أصناف الجند[2].

وبعد حوالي سنة بدأ الخليفة عبد المؤمن يجهز للعبور للمرة الثانية للأندلس، فجمع جيشًا جرارًا لغرض جهاد النَّصارى، ولكن حدث ما لا يُحمد عقباه حيث مرض الخليفة عبد المؤمن مرضًا شديدًا لم يستطع الأطباء مداواته[3]، وعندما أحسَّ بدنوِّ أجله، عمد إلى إسقاط ولده محمَّد من ولاية العهد وذلك يوم الجمعة الثَّاني من شهر جمادى الآخرة سنة 558هـ/7 ماي 1163م[4] وتولية ولده أبا يعقوب يوسف باعتباره أصلح من يتولى الخلافة، وقد أوصى سائر أشياخ الموحِّدين بتنفيذ وصيته هذه[5]، خاصةً الشَّيخ أبي حفص عمر بن يحي الهنتاني، وولده أبو حفص عمر[6]، وفي

1- يذكر ابن صاحب الصلاة والمرَّاكشي أنَّ الخليفة عبد المؤمن حينما أراد العبور استنفر أهل المغرب عامَّةً، فكان فيمن استنفرهم العرب، لكي يكونوا من جملة أجناده وأعوانه، فاستجاب له منهم جمع ضخم، وقد شاركوا في غزوِّ النَّصارى بالأندلس، وحينما عاد إلى المغرب ترك بعضهم في قرطبة وبعضهم في نواحي إشبيليَّة لكي يستعين ولاتهم بهم.(انظر:**المن بالإمامة**، ص111- 112 ؛ المرَّاكشي، **المُعجب**، ص175 وما بعدها).

2- **المُعجب**، ص157.

3-لم تذكر المصادر التَّاريخيَّة نوعية مرض الخليفة عبد المؤمن،حيث اكتفى ابن صاحب الصلاة وابن عذارى بالقول بأنَّ المرض دام به أيامًا، والنَّاس ينتظرون شفاءه، والأطباء كل يوم يدخلون عليه، ولكنهم لم يستطيعوا مداواته، ويذكر ابن أبي زرع أن مرضه تمادى، واشتد ألمه ووجعه، ويذكر المرَّاكشي أنَّه أثقله الجرح واشتدَّ عليه، ويبدو أنَّ الخليفة كان مجروحًا. (انظر: **المن بالإمامة**، ص154-155 ؛ **البيان المغرب**، ج5، ص79، **روض القرطاس**، ص202 ؛ **المُعجب**، ص184).

4- ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص154-155.(يذكر ابن عذارى أنَّ الخليفة عبد المؤمن عزل ولده محمَّد عن ولاية العهد، عندما أدرك أنَّه يشرب الخمر، وقد تقيأ يومًا على ثيابه وهو راكب على فرسه على مرأى من أشياخ الموحِّدين وعامة النَّاس، ويذكر المرَّاكشي أنَّه كان مُدمن خمر، وعُرف عنه اختلال الرأي وكثرة الطَّيش وجبن النَّفس، ويقال أنَّه كان مصابًا بالجذام).(انظر: **البيان المغرب**، ج5، ص78-79 ؛ **المُعجب**، ص166).

5- يذكر ابن الأثير أنَّ الخليفة عبد المؤمن عندما جمع أشياخ الموحِّدين قال لهم قد جربت إلي محمَّدًا، فلم أراه يصلح لهذا الأمر، وإنَّما يصلح له ابني يوسف. (انظر: **الكامل في التَّاريخ**، مج9، ص461).

6- ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص154-155 ؛ ابن عذارى، **البيان المغرب**، ص79.

ليلة الخميس 10 جمادى الآخرة 558هـ/16 ماي 1163م توفي الخليفة بسلا،وكان له من العمر حين توفي ثلاثة وستون سنة، وقيل أربعة وستون ودفن في تينملل بجانب قبر ابن تومرت[1].

وبوفاته تتوقف هذه الحملة الكبرى لغزوِ الممالك النَّصرانيَّة بالأندلس ولولا هذا القدر المحتوم لاستطاع عبد المؤمن بدون أدنى شك أن يحقِّق انتصارات باهرة على الممالك النَّصرانيَّة التي كانت تعاني من التَّمزق والتَّشرذم بسبب الحروب الدَّاخليَّة[2].

5- عبور يوسف بن عبد المؤمن إلى الأندلس:

كانت سياسة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن استمرارًا لسياسة والده الجهاديَّة في بلاد الأندلس[3]، فتابع مجاهده الثوار وحلفائهم النَّصارى بالخصوص بشرق الأندلس حيث يوجد الثائر ابن مردنيش بمرسيَّة وبلنسيَّة، واستطاع جيش الموحِّدين بعد معارك عديدة تحقيق النَّصر في معركة

1- تتفق المصادر التَّاريخيَّة في كون الخليفة عبد المؤمن توفي في شهر جمادى الآخرة سنة 558هـ/ماي 1163م، ولكنها تختلف في تحديد اليوم، فيذكر ابن صاحب الصلاة أنَّه توفي ليلة الجمعة العاشر من جمادى الآخرة، ولكن يوم العاشر هو الخميس وليس الجمعة، وقد وفّق ابن الخطيب في قوله أنَّه توفي ليلة الخميس العاشر من جمادى الآخرة، وهو الأرجَّح لانطباقها مع تسلسل الأيام والتواريخ، ويذكر ابن أبي زرع أنَّه توفي عند الفجر من يوم العاشر من جمادى الآخرة ولكنه أخطأ في تحديد اليوم فجعله الثلاثاء بدلًا من الخميس، ويذكر ابن عذارى أنَّه توفي يوم الثلاثاء الثامن من جمادى الآخرة، بينما يذكر ابن الأثير أنَّه توفي في العشرين من جمادى الآخرة، والمرَّاكشي قال في السَّابع والعشرين جمادى الآخرة، في حين أنَّ ابن خلدون لم يذكر اليوم وقال في جمادى الآخرة، واكتفى ابن السماك بذكر السنة فقط، فقال توفي عام 558هـ/1163م. (انظر: **المن بالإمامة**، ص163 ؛ **ابن الخطيب**، ص269 ؛ **روض القرطاس**، ص202 ؛ **البيان المغرب**، ج5، ص79-80 ؛ **الكامل في التَّاريخ**، مج9، ص461 ؛ **المُعجب**، ص166 ؛ **العِبر**، ج6، ص319 ؛ **الحُلل الموشيَّة**، ص236).

2- طلب الأمير يوسف بن عبد المؤمن من تلك الجيوش المجتمعة برباط الفتح الانصراف إلى بلادها، ريثما يستتب له الأمر وتكتمل بيعته، ويأذن الله لها بالجهاد. (انظر: ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص164).

3- يذكر ابن صاحب الصلاة أنَّ الخليفة يوسف خصَّ جزيرة الأندلس في إمارته وخلافته ببعوثه لها بالغزوِ فقمعوا عاصيها وعدوها، وإفترعوا بالفتح قاصيها من الأرض ودنيها، وأحسن لأجنادها وسبلَّ عليهم الخيل لغزوِ الكفرة في إمدادها بالمئات والآلاف في إعدادها.(انظر:**المن بالإمامة**، ص165).

فحص الجلَّاب على خصمهم ابن مردنيش وحلفائه النَّصارى في يوم الجمعة السَّابع من ذي الحجة عام 560هـ/15 أكتوبر 1165م[1].

كما أرسل الخليفة يوسف الجيوش لغرب الأندلس، وتمكن من إلحاق الهزيمة بملك البرتغال ألفونسو هنريكيز واسترجاع مدينة بطليوس[2] يوم 22 شعبان 564هـ/21 ماي 1169م[3].

ولم يكتف الخليفة يوسف بإرسال الجيوش للأندلس، بل عبر بنفسه إلى هناك، لإيقاف زحف النَّصارى الجارف على بلاد المسلمين، ولكشف مصالح دولته وتفقد أحوالها[4]،فعبر أوَّل مرة في يوم السَّابع والعشرين من رمضان 566هـ/3 جوان 1171م[5]، بجيش ضخم وتمكن من الاستيلاء على العديد من الحصون والقلاع بشرق الأندلس، ورغم عدم تمكنه من استرجاع مدينة وبذة من أيدي النَّصارى، إلَّا أنَّ عزائمه لم تنقطع، حيث غزا مدينة طلبيرة بالشمال الشرقي

1- ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص198 ؛ ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج5، ص89 ؛ ميراندا، **التَّاريخ السِّياسي للإمبراطوريَّة الموحِّديَّة**، ص216. (يجعل المرَّاكشي تاريخ موقعة فحص الجلَّاب في سنة 567هـ/1172م، وهذا خطأ والصَّحيح ما أثبتناه في المتن، ويبدو أنَّه أخلط بين تاريخ وفاة ابن مردنيش في عام 567هـ/1172م، وبين تاريخ موقعة فحص الجلَّاب). (انظر: **المُعجب**، ص176-177).

2- نشير إلى أنَّ الخليفة يوسف عزم على العبور إلى الأندلس بنفسه في شهر ربيع الآخر سنة 564هـ/جانفي 1169م وخرج من مرَّاكش وعسكر في نهر تانسيفت ثلاثة أيام، ولكنه عندما سمع باستيلاء جيرالدو سمبافور على مدينة بطليوس اضطر إلى إرسال جزء من الجيش على جناح السرعة لإنقاذها بقيادة الشَّيخ أبي حفص عمر بن يحي الهنتاني، والعودة إلى مرَّاكش ليتابع مستجدات الأوضاع، وقد أرسل الخليفة رسالةً إلى أشياخ الموحِّدين وأهل الأندلس من إنشاء أبي الحسن بن عياش مؤرخة في الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر عام 564هـ/21 جانفي 1169م أوضح فيها الظروف التي منعته من العبور إلى الأندلس، ووعدهم بالنَّجدة والنُّصرة على أعدائهم. (انظر: ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص291 وما بعدها ؛ ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج5، ص105-106).

3- ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص297.

4- ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج7، ص131.

5- ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص360 وما بعدها.

للأندلس واستولى الموحِّدين على ثلاثين ألفًا من البقر والغنم، وكل ما وجدوه من سبى وامتلأت أيديهم من ذلك، وقتلوا رجال النَّصارى وأسروا بعضهم وعادوا سالمين إلى اشبيلية[1].

ثمَّ خرجت حملة أخرى وسارت إلى أراضي طليطلة، وعاثت فيها وفي أحوازها واستولى الموحِّدون خلالها على غنائم كثيرة، وأذاقوا النَّصارى ويلًا وثبورًا[2] ولم تجد هذه الحملة أية مقاومة من قبل القشتاليِّين مثل سابقتها[3].

وعلى إثر هاتين الغزوتين سارع ملوك النَّصارى إلى عقد الصلح مع الموحِّدين[4]، بعدما أدركوا أنَّ موجة الغزوِ الموحِّدي قد تشتد وتصبح أكثر دموية، فجنحوا إلى المسالمة وطلب المهادنة[5]، وكان أوَّل من طلب الهدنة والصلح مع الموحِّدين حاكم طليطلة الكونت نونيو دي لارا ثمَّ ألفونسو الثَّامن ملك قشتالة الذي بعث رسالة إلى الخليفة يوسف، وحذا حذوهما ملك البرتغال ألفونسو هنريكيز وأرسل بدوره رسالة يطلب الهدنة، وقد حلت البعثات بإشبيليَّة في شهر ذي الحجة سنة 568هـ/جويلية 1173م وبعد مفاوضات استمرت شهرين كاملين، تكللت بقبول

1- ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص436.

2- يصف ابن صاحب الصلاة ما قام به الجيش الموحِّدي خلال هذه الحملة بقوله "استاقوا منها الغنائم وأذاقوا الكفار شرًا، وسقوهم من الغنيمة والإسار كأسًا مرًا. (انظر: **المن بالإمامة**، ص436).

3- ميرندا، **التَّاريخ السِّياسي للإمبراطوريَّة الموحِّديَّة**، ص261. (في الواقع هناك استغراب كبير لعدم تصدي القشتاليِّين للجيوش الموحِّديَة التي عاثت في أحواز عاصمة مملكتهم طليطلة، ويبدو أنَّهم كانوا يفكرون في عقد الصلح معهم).

4- يذكر ابن صاحب الصلاة أنَّ ملوك النَّصارى تراموا بإرسالهم إلى السِّلم جانحين، ولأبواب الصلح فاتحين، وللمهادنة طالبين، ولأسبابها راغبين. (انظر: **المن بالإمامة**، ص436).

5- محمَّد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس– عصر الموحِّدين**، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، القاهرة، 2002م، ج5، ص89.

الخليفة يوسف توقيع الهدنة مع هؤلاء الملوك[1]، وكانت مدة الهدنة مع ألفونسو هنريكيز خمس سنوات[2]، كما سارع المغامر جيرالدو سمبافور بدوره لعقد تحالف مع الموحِّدين لأنَّه شعر بأنَّه فقد مكانته وأغلقت في وجهه فرص المغامرة[3].

ويوم الخميس الرَّابع عشر من شهر شعبان سنة 571هـ/27 فيفري 1176م[4] غادر الخليفة يوسف إشبيليَّة متجهًا نحو مرَّاكش، فوصل إليها في منتصف شهر رمضان عام 571هـ/28 مارس 1176م[5] وقد مكث الخليفة بالأندلس حوالي خمس سنوات[6].

أمَّا عبوره الثاني فقد كان يوم الخميس الخامس صفر سنة 580هـ/17 ماي 1184م بعدما عبر جميع الجيش قبله[7]، واستقرَّ رأي الخليفة ومن معه على غزو مدينة شنترين بغرب

1- ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص436-437.

2- ميرندا، **التَّاريخ السِّياسي للإمبراطوريَّة الموحِّديَّة**، ص262.

3- محمَّد عبد الله عنان، ج5، **عصر الموحِّدين**، ص90.

4- لم يجزم ابن عذارى حول تاريخ انصراف الخليفة من إشبيليَّة عائدًا إلى مرَّاكش، فقال يوم الخميس الرَّابع عشر رمضان عام 571هـ/27 مارس 1176م ثمَّ أردفه بقوله وقيل في شعبان، وهو الصَّحيح على اعتبارا أنَّه قال في مناسبة أخرى بأنَّه وصل إلى مرَّاكش في منتصف رمضان من عام 571هـ/28 مارس 1176م.(انظر:**البيان المغرب**، ج5، ص135-136).

5- ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج5، ص136. (غير أنَّ ابن أبي زرع يقول أنَّ الخليفة دخل مرَّاكش في شهر شعبان سنة 571هـ/فيفري 1176م، والأرجَّح ما أثبتناه في المتن.(انظر:**روض القرطاس**، ص212).

6- يذكر ابن عذارى أنَّ مكوث الخليفة يوسف بالأندلس كان بالتَّحديد أربعة أعوام وعشرة أشهر ونصف.(انظر:**البيان المغرب**، ج5، ص136).

7- ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج5، ص159. (يذكر ابن أبي زرع بأنَّ الجيش الموحِّدي عبر إلى الأندلس تبعًا، فقد جازت قبائل العرب أولًا ثمَّ قبائل زناتة، ثمَّ قبائل المصامدة، ثمَّقبائل غمارة وصنهاجة وأوربة وباقي أصناف البربر، ثمَّ جازت جيوش الموحِّدين والأغزاز والرُّماة، ولمَّا كملت هذه القبائل الجواز، عبر الخليفة يوسف في أثرهم مع حاشيته وعبيده). (انظر: **روض القرطاس**، ص213-214).

الأندلس، فوصل إليها يوم الأربعاء السَّادس عشر ربيع الأوَّل 580هـ/27 جوان 1184م[1] وأطبق الحصار عليها أيامًا، ولكنه لم يتمكن من فتحها، وقد أصيب الخليفة في هذه الغزوة بجراح بليغة أدت إلى وفاته في الطَّريق إلى إشبيليَّة يوم السبت الثَّامن عشر ربيع الآخر 580هـ/29 جويلية 1184م[2]، وحمل إلى المغرب ودفن في تينملل بجوار والده عبد المؤمن وابن تومرت[3].

1- ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج5، ص160. (غير أنَّ ابن أبي زرع يقول أنَّ وصول الجيش الموحِّدي إلى شنترين كان يوم السَّابع ربيع الأوَّل سنة 580هـ/18 جوان 1184م، بينما ينقل ميراندا عن المصادر المسيحيَّة والتي اختلفت هي الأخرى في تاريخ وصول الجيش الموحِّدي إلى شنترين وبداية حصارها، حيث نقل عن مؤرخ عاصر الحدث هو الراهب الانجليزي راوول ديسيتو (Raul de Diceto)الذي قال أنَّ وصوله كان يوم 13 ربيع الأوَّل 580هـ/24 جوان 1184م وهو يوم عيد القديس يوحنا، وفي رواية أخرى أنَّه وصل يوم 17 ربيع الأوَّل 580هـ/28 جوان 1184م. (انظر: **روض القرطاس**، ص214 ؛ **التَّاريخ السِّياسي للإمبراطوريَّة الموحِّديَّة**، ص289 وما بعدها).

2- ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج5، ص164. (يتفق ابن أبي زرع مع ابن عذارى في تاريخ الوفاة،غير أنَّه يقول بأنَّه توفي بقرب الجزيرة الخضراء وكان قاصدًا العبور إلى المغرب،بينما يرى ابن الأثير أنَّه توفي لمرض ألم به أثناء حصار شنترين في شهر ربيع الأوَّل 580هـ/جوان 1184م، ويتفق معه الحِميري غير أنَّه اكتفى بذكر سنة الوفاة وهي 580هـ/1184م دون ذكر اليوم والشهر، ويرى المرَّاكشي وابن خلكان أنَّه توفي بعدما اشتد به الجرح في طريق عودته إلى إشبيليَّة بعدما سار ليلتين أو ثلاث ليالي وكانت وفاته يوم السبت السَّابع رجب 580هـ/14 أكتوبر 1184م، ويقول ابن الخطيب أنَّه توفي بمحلَّة غزاته بشنترين ليلة الثَّامن والعشرين ربيع الآخر 580هـ/8 أوت 1184م،وبالنِّسبة إلى أشباخ فهو لم يجزم حول مكان وفاته، فقال أنَّه توفي متأثرًا بجراحه حين عودته إلى إشبيليَّة أووصوله إلى الجزيرة الخضراء أو مرَّاكش في يوم الثَّاني عشر ربيع الآخر 580هـ/23 جويلية 1184م، والأرجح ما أثبتناه في المتن). (انظر:**روض القرطاس**، ص215 ؛ **الكامل في التَّاريخ**، دار صادر، مج10، ص126 ؛**المُعجب**، ص184-185؛ **وفيات الأعيان**، ج7، ص136 ؛**الرَّوض المعطار**، ص346 ؛ **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ج2، ص75-76).

3- المرَّاكشي، **المُعجب**، ص185 ؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج7، ص136 ؛ ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص215. (غير أنَّ الزركشي يقول بأنَّه دفن برباط الفتح، والأرجَّح ما أثبتناه في المتن). (انظر: **تاريخ الدَّولتين الموحِّديَّة والحفصيَّة**، تحقيق وتعليق محمَّد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م، ط2، ص14).

كرَّس الخليفة يوسف حياته كلها في الجهاد في سبيل الله بالأندلس، وحقَّق انتصارات عديدة على النَّصارى، ورغم إخفاقه في حملتي وبذة وشنترين إلَّا أنَّه بيَّن للأمم النَّصرانية أنَّه سيكون لهم بالمرصاد، ولن يُدخر جهدًا في التَّصدي لزحفهم الجارف على بلاد الأندلس، ورأينا كيف كلفه حبه للجهاد حياته واستشهد متأثرا بجراحه في غزوة شنترين.

6- عبور يعقوب المنصور للأندلس ومعركة الأرك[1]:

عبر الخليفة يعقوب المنصور إلى الأندلس مرتين، لصدِّ حركة الاسترداد المسيحي بها والجهاد في سبيل الله، المرة الأولى كانت يوم الأحد الثَّالث والعشرين ربيع الأوَّل 586هـ/الأوَّل ماي 1190م[2]،وقد تمكن خلالها من استرجاع مدينة شِلب بغرب الأندلس من أيدي النَّصارى البرتغاليِّين يوم الخميس الخامس والعشرين لجمادى الآخرة 587هـ/19 جويلية 1191م[3].

1- رأيت أنَّه من الضروري الحديث عن معركة الأرك بشيء من التَّفصيل، نظرًا لأهميتها الكبيرة جدًا بالمقارنة مع باقي معارك الموحِّدين التي عرضناها باختصار.

2- ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج5، ص203 وما بعدها. (اختلف المؤرخون في تاريخ الجواز الأوَّل للخليفة يعقوب المنصور إلى الأندلس، فقد وافق ابن الأثير وابن خلدون رواية ابن عذارى وقالا أنَّ الجواز كان سنة 586هـ/1190م ولكنهما لم يذكرا التَّاريخ بالتَّحديد،ويقول الحِميري أنَّه كان في الثَّاني والعشرين ربيع الأوَّل 586هـ/30 أفريل 1190م، بينما يرى المرَّاكشي أنَّ جوازه كان سنة 585هـ/1189م ويقول ابن أبي زرع أنَّه جاز يوم الخميس الثَّالث ربيع الأوَّل 585هـ/11 أفريل 1189م، والأرجَّح ما أثبتناه في المتن من راوية ابن عذارى.(انظر: **الكامل في التَّاريخ**، مج10، ص199-200 ؛ **العِبر**، ج6، ص329 ؛ **الرَّوض المعطار**، 342 ؛ **المُعجب**، ص199 ؛ **روض القرطاس**، ص218).

3- ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج5، ص212. (غير أنَّ الحِميري يقول أنَّ خروجهم كان في السَّادس والعشرين من جمادى الآخرة 587هـ/20 جويلية 1191م). (انظر: **الرَّوض المعطار**، ص343).

6-1- ظروف وأسباب المعركة:

وخلال عبوره الثاني يوم الخميس العشرين جمادى الآخرة 591هـ/1 جوان 1195م[1] قاد الخليفة يعقوب المنصور، الموحِّدون للنصر في معركة الأرك[2]، هذه المعركة الملحمية التي تسبب ملك قشتالة ألفونسو الثامن في اندلاعها بسبب نقضه العهد مع الموحِّدين[3]، بمهاجمة بلاد المسلمين حيث أرسل حملة عسكرية بقيادة مطران طليطلة مارتن دي بسيرجا[4]، فاخترقت جبال الشارات (سيرا مورينا) وسار بجانب نهر الوادي الكبير إلى أعماق الأندلس ودمَّر جيشه كل شيء، حيث انتسفوا الغلات والكروم وقطعوا أشجار الزيتون، وخربوا الضياع والقرى وسبو وقتلوا من اعترض

1- ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج5، ص217. (يوافق ابن أبي زرع التَّاريخ الذي حدَّده ابن عذارى لكنه أخطأ في تقدير اليوم، فيوم العشرين جمادى الآخرة يوافقه يوم الخميس وليس الجمعة، أمَّا المرَّاكشي فلم يذكر اليوم واكتفى بالقول أنَّ الجوازكان في شهر جمادى الآخرة 591هـ/جوان 1195م، في حين اعتبر أشباخ أنَّ عبوره كان في العشرين رجب 591هـ/1 جويلية 1195م، الأرجَّح ما أثبتناه في المتن). (انظر: **روض القرطاس**، ص222 ؛ **المُعجب**، ص201 ؛ **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ج2، ص83).

2- (Alarcos) سهل يُعرف بمرج الحديد حسب ابن الأثير وابن خلكان أو فُحص الحديد حسب المرَّاكشي، يقع شمالي قرطبة على مقربة من قلعة رباح، يطلق عليه اسم حصن الأرك أو قلعة الأرك أو مدينة الأرك حسب ابن أبي زرع، وهذا السهل أو المحلة يقع فوق ربوة عالية تمتد سفوحها حتَّى نهر وادي آنة، وتبعد مسافة أحد عشر كيلومترًا في غربي مدينة ثيوداد ريال الحديثة، (Ciudad Real) الحديثة، وتقوم مكان الأرك اليوم محلة صغيرة تُسمى (Sta Maria de Alarcos) في فحص قلعة رباح. (انظر: **الكامل في التَّاريخ**، مج10، ص237 ؛ **وفيات الأعيان**، ج7، ص8 ؛ **المُعجب**، ص201 ؛ **روض القرطاس**، ص223، هامش143 ؛ أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ج2، ص83 ؛ محمَّد عبد الله عنان، **عصر الموحِّدين**، ج5، ص200، هامش1).

3- ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج7، ص5 ؛ المرَّاكشي، **المُعجب**، ص200.

4- عُين مطرانًا لطليطلة عقب وفاة المطران جُنزالوا وكان هذا المطران الجديد مُتحمس لحرب المسلمين، فأخذ يُعد العدة للقيام بحملة كبيرة ضدَّ مسلمي الأندلس. (انظر: أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ج2، ص81).

طريقهم، وزحفت قوى خفيفة من فرسانهم حتَّى أحواز إشبيليَّة واستجة، وإلى أقصى جنوب الأندلس وهم يتابعون العيث والتَّخريب[1].

وكتب ملك قشتالة ألفونسو الثامن بعد هذه الغزوة إلى الخليفة الموحِّدي يعقوب المنصور رسالةً من إنشاء وزيره اليهودي ابن الفخار[2] يهدِّده فيها ويتوعده بالهزيمة، ويدعوه للقتال في أعز مكان لديه[3]، ولمَّا قرأ المنصور الرِّسالة غضب لذلك غضبًا شديدًا وأخذته غيرة الإسلام، وأمر ابنه وولي عهده محمَّد الناصر بالردِّ على ملك قشتالة، فقرأ الناصر الرِّسالة ثمَّ مزقها، وكتب على ظهر قطعة منها[4] قوله تعالى ((ارْجِعِ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ))[5]، والجواب ما ترى لا ما تسمع، واستشهد ببيت أبي الطيب المتنبي:

ولا كُتْبَ إلَّا المشْرفِيَّةُ والقَنَا[6] وَلَا رُسُلَ إلَّا الخَمِيسُ العَرَمْرَمُ[7]

1- أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ج2، ص81.(ذكر ابن الأثير وابن خلكان هذه الحملة باختصار شديد، حيث قالا أنَّ طائفة من الفرنج خرجت في جيش كثيف إلى بلاد المسلمين فقتلوا وسبوا وغنموا وأسروا وعاثوا فيها عيثًا شديدًا، كما ذكرها المرَّاكشي أيضًا بصيغة مختصرة حيث قال فخرجت خيلُ ألفونسو الثامن تدوس البلاد وتجوس خلالها، إلى أنَّ كثر عيثها بالأندلس). (انظر: **الكامل في التَّاريخ**، مج10، ص237 ؛ **وفيات الأعيان**، ج7، ص4 ؛ **المُعجب**، ص201).

2- ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج7، ص6 ؛ محمَّد عبد الله عنان، **عصر الموحِّدين**، ج5، ص198.

3- عن نص الرِّسالة. (انظر: **الكامل في التَّاريخ**، مج10، ص236-237 ؛ **وفيات الأعيان**، ج7، ص6-7 ؛ **روض القرطاس**، ص220-221).

4- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص221. (بينما يذكر ابن خلكان أنَّ الخليفة يعقوب المنصور هو الذي مزَّق رسالة ملك قشتالة، وهو الذي ردَّ الجواب على ظهر قطعة منه وليس ولده محمَّد النَّاصر). (انظر: **وفيات الأعيان**، ج9، ص7).

5- **سورة النَّمل، الآية37**.

6- ورد صدر البيت عند ابن خلكان وابن أبي زرع بصيغة "ولا كُتب إلَّا المشرفيَّة عنده"والصواب ما أثبتناه في المتن. (انظر: **وفيات الأعيان**، ج7، ص7 ؛ **روض القرطاس**، ص221).

7- ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج7، ص7 ؛ ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص221. (نُشير إلى أنَّ هذا الرد ورد أيضًا عن أمير المرابطين يوسف بن تاشفين مع اختلاف بسيط بينهما، حينما رد على رسالة ألفونسو السَّادس ملك قشتالة عندما هدَّده في رسالته بالهزيمة السَّاحقة في حالة جوازه إلى الأندلس لنصرة إخوانه أمراء الطَّوائف). (انظر: ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص91 ؛ **الحُلل الموشيَّة**، ص43 ؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص240.

فجهز الخليفة جيشًا جرارًا عبر به إلى الأندلس، يقول عنه ابن الأثير جيش يضيق عنه الفضاء[1] بلغ تعداده حسب الذَّهبي مائتي ألف ما بين فارس وراجل[2]، وحسب ابن العماد الحنبلي فكان تعداده مائة ألف بخلاف المتطوعة[3]، أمَّا جيش عدوه ألفونسو الثامن فقد بلغ مائتي وأربعين ألفًا حسب الذَّهبي[4]، وأكثر من ثلاثمائة ألف ما بين فارس وراجل حسب ابن أبي زرع[5].

1- **الكامل في التَّاريخ**، مج10، ص237.

2- **دُول الإسلام**، حقَّقه وعلَّق عليه حسن إسماعيل مروة، قرأه وقدَّم له محمود الأرناؤوط، دار صادر، بيروت، 1999م، ط1، ج2، ص100.

3- **شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب**، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، حقَّقه وعلَّق عليه محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، 1986م،ط1، مج6، ص500. (نلاحظ اختلاف التَّقديرات في تعداد الجيش الموحِّدي عند الذَّهبي وابن العماد الحنبلي، هذا الأخير قال بأنَّ العدد مائة ألف بخلاف المتطوعة الذي قال عنها قل ماشئت، وهي إشارة إلى عددها الضَّخم، والمؤكد في الأمر أنَّ الجيش الموحِّدي كان جيشًا عرمرمًا وكثير العدد).

4- **دُول الإسلام**، ج2، ص100. (وحسب أشباخ فإنَّ جيش ألفونسو الثامن كان أكثر من مائة ألف مقاتل فقط، ويبالغ كثيرًا في تقدير جيش المسلمين الذي قال بأنَّه يقدر بستمائة ألف مقاتل. ويدعي ميراندا أنَّ تقدير هذه الجيوش النَّصرانية بهذا العدد الضَّخم من قبل الذَّهبي فيه مبالغة، وهي رواية لا تخلو من الطرافة حسب زعمه، وقد نقل عن الذَّهبي بأنَّه يقدر القوَّات النَّصرانية بخمسة وعشرين ألف فارس ومائتي ألف من المشاة، ولم يذكر من أي كتاب من كتب الذَّهبي أخذ منها هذه التَّقديرات، والصَّحيح أنَّ الذَّهبي قدر عدد الجيوش النَّصرانية بمائتي وأربعين ألفًا.ورغم اختلاف هذه الرِّوايات فالمؤكد من الأمر أنَّ عدد الجيوش المسيحيَّة أكثر من عدد الجيوش الإسلاميَّة رغم كثرة عددها هي الأخرى، ونستدل على ذلك من قول المرَّاكشي الذي ذكر أنَّ ألفونسو الثامن جمع جموعًا لم يجتمع له مثلها قط، فلما تراءى الجمعان اشتدَّ خوف الموحِّدين وساءت ظنونهم لما رأوا من كثرة جيش عدوهم. كما أنَّ ألفونسو لم ينتظر قدوم جيش ملكي ليون ونافارا لأنَّه كان واثقًا من تحقيق النَّصر بجيشه الضَّخم). (انظر: **المُعجب**، ص201 ؛ **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ج2، ص84-85؛ **التَّاريخ السِّياسي للإمبراطورية الموحِّديَّة**، ص354).

5- **روض القرطاس**، ص227.

6-2- وقائع المعركة:

في حصن الأرك التقى الجمعان، حيث هجمت فرقة من جيش النَّصارى مكونةً من سبعة أو ثمانية آلاف فارس مسلحة بالدروع[1] على جيش المسلمين، وكان هذا الهجوم في ضحى يوم الأربعاء التَّاسع شعبان 591هـ/19 جويلية 1195م[2] فتصدى الموحِّدون لهذا الهجوم[3] فعاود النَّصارى الهجوم مرةً ثانية، إلَّا أنَّهم تقهقروا مرةً أخرى، ثمَّ تهيأت قوَّاتهم للهجوم الفعلي للمرة الثَّالثة وعززت صفوفها فأصبحت عشرة ألاف فارس[4]، فكان القائد ابن صناديد والزعيم العربي يحث كل منهما الجند على الثبات، واستطاعت هذه الفرقة اختراق قوَّات المسلمين، حيث ركزت هجومها على قوَّات القلب التي يقودها القائد العام أبو يحي بن أبي حفص الهنتاني، معتقدين أنَّه هو الجناح

1- يذكر ابن أبي زرع أنَّ فرسان النَّصارى كانوا كلهم قد احتجبوا بالحديد والبيضات والزرد النظيف النضيد. (انظر: **روض القرطاس**، ص226).

2- تتفق جميع المصادر التَّاريخيَّة في كون معركة الأرك وقعت يوم الأربعاء التَّاسع شعبان 591هـ/19 جويلية 1195م، وأخطأ ابن خلكان فقط في تحديد اليوم، فيوم التَّاسع شعبان يوافق يوم الأربعاء وليست الخميس، باستثناء المرَّاكشي الذي قال أنَّها حدث يوم الأربعاء الثالث شعبان، وقد أخطأ هو الآخر في تحديد اليوم فيوم الثالث شعبان يوافق يوم الخميس وليس الأربعاء والصَّحيح ما أثبتناه في المتن، واتفقت عليه جميع المصادر التَّاريخيَّة. (انظر: **وفيات الأعيان**، مج7، ص8 ؛ **المُعجب**، ص201 ؛ ابن الأثير، **الكامل في التَّاريخ**، مج10، ص237 ؛ ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج5، ص220 ؛ ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص226 ؛ الذَّهبي، **دُول الإسلام**، ج2، ص100 ؛ الحِميري، **الرَّوض المعطار**، ص27 ؛ أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ج2، ص85).

3- في بداية الهجوم ناد منادي الشَّيخ أبو يحي بن أبي حفص على المسلمين يحثهم على الثبات وإخلاص النِّيات والأعمال لله تعالى، وذِكر الله في قلوبهم للفوز بإحدى الحُسنيَّين إمَّا الشهادة والجنة أو الأجر والغنيمة.(انظر:**روض القرطاس**، ص226).

4- يذكر ابن أبي زرع والسَّلاوي أنَّ هذه الفرقة مكونة من عشرة آلاف فارس كلهم مدجج في الحديد، وكانت شوكة الجيش وحَدِّهِ، اختارهم ألفونسو الثامن، وصلَّت قساوستهم عليهم صلاة النَّصر، ورشوهم بماء المعمودية، وحلف هؤلاء الفرسان عند الصلبان أن لا يبرحوا حتَّى يقتلوا المسلمين أو يهلكوا دونهم. (انظر: **روض القرطاس**، ص227 ؛ **الاستقصا**، ج2، ص169). (من هذا الكلام يتبيَّن لنا جليًا الرُّوح الصَّليبيَّة الانتقاميَّة، والعدائيَّة الشديدة للمسلمين التي كانت تميِّز المسيحيِّين في تلك الفترة).

الذي يقوده الخليفة المنصور، فقاتل أبو يحي قتالًا شديدًا وصبر صبرًا جميلًا حتَّى استشهد مع جماعة من المسلمين من قبيلة هنتانة والمتطوعة وغيرهم[1].

وكان القتال شديدًا إلى درجة تحول النَّهار من شدَّة الغبار إلى ليل[2]، ويذكر ابن عذارى أنَّ الخليفة يعقوب المنصور في تلك الأثناء قال لخاصته ومن طاف به جددوا نياتكم واحضروا قلوبكم ثمَّ تحرك وحده وترك ساقته ومرَّ على الصفوف والقبائل وأمرهم بالهجوم على عدوِّهم فحميت بذلك نفوس الجُند وتشجعوا أكثر من ذي قبل[3]، وشرعوا في الهجوم فأقبلت قبائل المتطوعة والعرب والأغزاز والرُّماة وأحاطوا بالنَّصارى الذين هجموا على قلب الجيش الموحِّدي من كل جانب، وشرعوا في قتالهم[4].

في حين هاجمت قوَّات الأندلس بقيادة ابن صناديد، ومعه قبائل زناتة والمصامدة وغمارة وسائر قبائل البربر على قوَّات ألفونسو الثامن المتواجدة في الربوة العالية من حصن الأرك، والتي تبلغ حسب ابن أبي زرع أزيد من ثلاثمائة ألف ما بين فارس وراجل[5]، ولا تتعدى عشرة آلاف

1- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص226-227 ؛ السَّلاوي، **الاستقصا**، ج2، ص169-170.

2- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص227.

3- **البيان المغرب**، ج5، ص219-220.

4- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص227. (يذكر أشباخ أنَّ فرقة النَّصارى المهاجمين على قلب الجيش الموحِّدي والذي تمكنت من تحطيمه وقتل قائده العام وآلاف من جنده حسب ادعائه، اعتقدت أنَّ النَّصر قد لاح لهم، ولكن سرعان ما طوقتهم باقي عناصر الجيش الإسلامي). (انظر:**تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ج2، ص86).

5- **روض القرطاس**، ص227 .

فارس منهم فرسان الداوية وفرسان قلعة رباح حسب أشباخ[1]، فاشتدَّ القتال بين الطرفين وعظمت الأهوال[2] وحمى الوطيس، والتفت الأقدام والرؤوس[3] وفي تلك الأثناء حاولت فرقة النَّصارى المكونة من عشرة آلاف فارس الفرار إلى الربوة العالية التي كان ألفونسو الثامن وقوَّاته، ليعتصموا بها، لكن عساكر المسلمين الذين هجموا على الربوة سابقًا تصدوا لهم، فأصبحوا محاصَرين بين قوَّات المسلمين، ولحقت بهم قوَّات العرب والمتطوعة وهنتانة والأغزاز والرُّماة فأبادوهم عن آخرهم فانكسرت بذلك شوكة ألفونسو الثامن بفنائهم وخرت عزائمه[4].

ورغم ذلك همَّ وعزم على إعادة تنظيم صفوف قوَّاته والهجوم بجميع جيوشه على المسلمين فبينما كان هذه الحال إذ سمع الطبول على يمينه قد ملأت الأرض، وأرجاء المكان تُدوي بوقع حوافر الخيل وأصوات الأبواق، فرفع رأسه لينظر فيها، فرأى المكان رايات الموحِّدين قد أقبلت والعلم الأبيض يخفق أمامه منقوشًا عليه "لا إله إلَّا الله محمَّد رسول الله، لا غالب إلا الله" فقال ما هذا ؟ فقيل له هذا أمير المؤمنين يعقوب المنصور قد أقبل على رأس جيشه، وما قاتلك اليوم كله إلَّا طلائع جيوشه، ومقدمات عساكره[5]" فانتشر في قلبه الرعب والفزع، فالتحم القتال بين الطرفين

1- يدعي أشباخ أنَّه بقي مع ألفونسو الثامن في الربوة العالية عشرة آلاف فارس فقط، وتحدث قبل ذلك عن فرقة الفرسان القشتاليِّين التي هجمت في بداية المعركة على قوَّات المسلمين والتي قدَّرها بسبعة أو ثمانية ألاف فارس مثقلين بالدروع، ولم يتحدث عن قوَّات النَّصارى الأخرى على الإطلاق، وكأنَّه حصر قوَّاتهم في هذا العدد وحسب، وكان قبل ذلك ذكر بأنَّ عدد جيش النَّصارى الذي جمعه ألفونسو الثامن بلغ أكثر من مائة ألف مقاتل، فلهذا يوجد خلل في روايته وتناقض كبير. (انظر: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ج2، ص84 وما بعدها).

2- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص227.

3- ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج5، ص220.

4- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص227.

5- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص227-228 ؛ السَّلاوي، **الاستقصا**، ج2، ص170.

وسرعان ما ولى النَّصارى الأدبار منهزمين، فلحق المسلمين فلولهم وأثخنوا فيهم قتلًا وسبيًا واقتحموا حصن الأرك بالقوة وأضرموا النيران في أبوابه واستولوا على جميع ما كان فيه وفي معسكر الجيش القشتالي من أموال وذخائر وأسلحة وأمتعة ودواب وغيرها[1] .

أمَّا ألفونسو الثامن فقد فرَّ بدوره من أحد أبواب حصن الأرك، مع شرذمة قليلة من أتباعه[2]، بلغت حوالي عشرين فارسًا يجرون أذيال الهزيمة تحت جنح الظلام[3]، ويذكر المقَّري أنَّ ألفونسو الثامن وصل إلى طليطلة في أسوء حال، فحلق رأسه، ونكس صليبه، وأقسَّم أن لا ينام على فراش، ولا يقرب النِّساء، ولا يركب فرسًا ولا دابة حتَّى يأخذ بالثأر من المسلمين[4].

6-3- نتائج المعركة:

خسر النَّصارى في هذه المعركة عدد كبير جدًا من جنودهم، واختلفت الرِّوايات التَّاريخيَّة في تحديد أعدادهم، فيذكر كل من ابن الأثير والذَّهبي والمقَّري وابن العماد الحنبلي أنَّ عدد قتلى النَّصارى بلغ مئة وستة وأربعين ألفًا[5]، بينما يرى ابن عذارى وابن الخطيب وابن خلدون والحِميري

1- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص228 ؛ السَّلاوي **الاستقصا**، ج2، ص170.

2- ابن أبي زرع،**روض القرطاس**، ص228. (يذكر أشباخ أنَّ ألفونسو الثامن لم يشأ بالرغم من اشتداد ضغط العدوِّ عليه من كل صوب ومواجهته لخطر الهلاك والسَّحق، أن يُنقذ نفسه بالفرار وأن يتحمل عار الهزيمة. فتساقط بذلك معظم فرسان النَّصارى حول ملكهم مخلصين لعهدهم مدافعين عليه، ولكن بقية قليلة منهم استطاعت أن تنجو، وأن تقتاد الملك بعيدًا عن ميدان المعركة وأن تنقذ بذلك حياته).(انظر:**تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ج2، ص87).

3- ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج5، ص220 ؛ الحِميري، الرَّوض المعطار، ص72. (غير أنَّ المرَّاكشي يقول أنَّ ملك قشتالة نجا في نحو ثلاثين من وجوه قواده). (انظر: **المُعجب**، ص201).

4- **نفخ الطِّيب**، مج1، ص443. (غير أنَّ ابن الأثير يذكر أنَّ ألفونسو الثامن ركب حمارًا وأقسم أن لا يركب فرسًا ولا بغلًا حتَّى تنتصر النَّصرانيَّة). (انظر: **الكامل في التَّاريخ**، مج10، ص237).

5- **الكامل في التَّاريخ**، مج10، ص237 ؛ **دُول الإسلام**، ج2، ص100 ؛ **نفح الطِّيب**، مج1، ص443 ؛ **شذرات الذَّهب**، ج6، ص500.

وأشباخ أنَّ عدد قتلاهم كان ثلاثون ألفًا[1]، أمَّا باقي المصادر التَّاريخيَّة فلم تذكر العدد، وأشارت فقط إلى كثرة عدد القتلى فيذكر ابن أبي زرع أنَّه قتل منهم ألوف لا تُعد ولا تُحصى، ولا يعلم لها أحد عددًا إلَّا الله تعالى[2] أمَّا قتلى المسلمين فيذكر ابن الأثير أنَّه استشهد منهم عشرين ألفًا[3]، بينما يذكر ابن عذارى أنَّه استشهد منهم نحو خمسمائة[4]، أمَّا الحِميري فيقول دون الخمسمائة[5] ومهما تباينت الأرقام، فالمؤكد أنَّ عدد الضحايا في صفوف المسلمين كان قليلًا جدًا بالمقارنة مع المسيحيِّين الذي كان مرتفعًا جدًا.

وفيما يخص عدد أسرى هذه المعركة ومصيرهم فقد تضاربت الرِّوايات بدورها فيذكر الذَّهبي والمقَّري وابن العماد الحنبلي أنَّ الموحِّدين أسروا ثلاثين ألفًا، دون توضيح لأصنافهم هل من الفرسان أو من العبيد أو من النِّساء وغيرهم، ودون ذِكر لمصيرهم[6]، أمَّا ابن الأثير فيذكر أنَّ عددهم كان ثلاثة عشر ألفًا، ولم يذكر هو الآخر أصنافهم ولا مصيرهم[7]، أمَّا ابن عذارى فيذكر أنَّ المسلمين حاصروا خمسة آلاف قشتالي بين صغير وكبير، ذكرًا وأنثى في حصن الأرك، فحدث

1- **البيان المغرب**، ج5، ص220 ؛ **تاريخ إسبانية الإسلاميَّة**، ص269 ؛ **العِبر**، ج6، ص330 ؛ **الرَّوض المعطار**، ص27 ؛ **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ج2، ص87.

2- **روض القرطاس**، ص228. (ويذكر المرَّاكشي أنَّه لم ينج من القتل إلَّا ألفونسو الثامن في نحو ثلاثين من وجوه قوَّاده، ويُشير إلى الأمر نفسه ابن خلكان حيث قال فاستأصلهم الموحِّدون قتلًا، وما نجا ملكهم إلَّا في نفرٍ يسير). (انظر: **المُعجب**، ص201 ؛ **وفيات الأعيان**، مج7، ص8).

3- **الكامل في التَّاريخ**، مج10، ص237.

4- **البيان المغرب**، ج5، ص220.

5- **الرَّوض المعطار**، ص27.

6- **دُول الإسلام**، ج2، ص100 ؛ **نفح الطِّيب**، مج1، ص443 ؛ **شذرات الذَّهب**، ج6، ص500.

7- **الكامل في التَّاريخ**، مج10، ص237.

اتفاق بين النَّصارى والخليفة المنصور بوساطة حليفه القشتالي الكونت بيدرو فرناندیز دي كاسترو[1] الموجود بمحلة الموحِّدين، بأن يفرج على خمسة آلاف من أسرى المسلمين مقابل إطلاق القشتاليِّين المحصورين بالحصن، فَسُرِّح القشتاليون وأخذ المنصور رهائن منهم إلى إشبيليَّة ثمَّ إلى رباط الفتح لكي يضمن تحقيق النَّصارى للاتفاق ويُسلمون أسرى المسلمين، ويختم ابن عذارى كلامه هذا بقوله وكان هذا الاتفاق من أعظم مكائد الكافرين وخُدع المشركين[2]. في حين يقول ابن أبي زرع أنَّ الموحِّدين لمَّا اقتحموا حصن الأرك بالقوة أسروا أربعة وعشرون ألف فارس، فامتن عليهم الخليفة يعقوب المنصور وأطلق سراحهم، فعزَّ فعله هذا على جميع الموحِّدين وعلى كافة المسلمين، واعتبروه سقطةً من سقطات الملوك، وقد ندم فيما بعد على فعله هذا، وقيل أنَّه عندما اشتد مرضه قال "ما ندمت على شيء فعلته في خلافتي إلَّا على ثلاث وددت أني لم أفعلها، إحداهما إطلاقي أسرى الأرك، ولا بد لهم أن يطلبوا بثأرهم"[3].

1- بينما يُسميه ابن عذارى "بيطره بن فراندس". ويذكر أشباخ أنَّ هذا الكونت المبعد من قشتالة، أبدى نشاطًا خاصًا في معاونة الموحِّدين على سحق وطنه، فزاد ذلك من ألم النَّصارى). (انظر:**البيان المغرب**، ج5، ص220 ؛ أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ج2، ص87 ؛ محمَّد عبد الله عنان، **عصر الموحِّدين**، ج5، ص209).

2- **البيان المغرب**، ج5، ص200. (يظهر لنا جليًا من قول ابن عذارى أنَّ النَّصارى لم يلتزموا بالاتفاق الذي أبرموه مع الخليفة الموحِّدي ولم يسرحوا الأسرى المسلمين).

3- **روض القرطاس**، ص228 وما بعدها. (يُثني أشباخ على الخليفة يعقوب المنصور كونه لم يُشِن صفحة نصره بالالتجاء إلى قسوة لا مبرر لها في معاملة الأسرى والعُزل، فلم يشأ جريًا على سُنن الحرب المتبعة يومئذٍ أن يقتلهم ويرسلهم عبيدًا إلى إفريقية، بل آثر أن يمنحهم جميعًا الحرية دون فداء. ويرى المؤرخ معمر الهادي محمَّد القرقوطي بأنَّ الخليفة المنصور بالرغم من ندمه حينما أطلق هؤلاء الأسرى إلَّا أنَّ فعله هذا يعتبر حسنة من حسناته، لأنَّها تمثل صورة من صور مبدأ التَّسامح الذي عُرفت به الدَّولة الإسلاميَّة، وهو يبرهن على حسن معاملة المسلمين لأسرى الحرب). (انظر: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ج2، ص88 ؛ **جهاد الموحِّدين في بلاد الأندلس (541-629هـ/1146-1233م)**، دار هومة للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، 2005م، ص202). (وأرى بأنَّه عمل إنساني وحضاري ميَّز المسلمين في تلك الآونة بالرغم من أنَّ أعداءهم النَّصارى الصَّليبيِّين لم يعاملونهم بهذا المستوى الحضاري الراقي).

وبالنِّسبة للغنائم فقد حصل المسلمون على العديد منها، فيذكر ابن الأثير أنَّهم غنموا شيئًا عظيمًا[1]، فمن الخيام مائة وثلاثة وأربعون ألفًا[2]، ومن الخيل ستة وأربعون ألفًا[3]، ومن البغال مائة ألف[4]، ومن الحمير مائة ألف[5]، ويذكر المقَّري أنَّهم استولوا أيضًا على جواهر وأموال لا تحصى[6] وهو ما ذهب إليه ابن أبي زرع حينما قال أنَّ المسلمين احتووا على جميع ما كان في حصن الأرك وفي محلة النَّصارى من الأموال والذخائر والأرزاق والأسلحة[7]، والأمتعة والدواب والنِّساء والذرية[8] وعن مصير هذه الغنائم فيقول ابن الأثير أنَّ الخليفة يعقوب المنصور ناد في عسكره أنَّه من غنم شيئًا فهو له سوى السِّلاح[9]، أمَّا المقَّري فيذكر أنَّ الخليفة قسَّم الغنائم بين المسلمين بمقتضى

1- **الكامل في التَّاريخ**، مج10، ص237. (ويذكر ابن العماد الحنبلي أنَّ المسلمين غنموا غنيمة لم يُسمع بمثلها). (انظر: **شذرات الذَّهب**، ج6، ص500).

2- **الكامل في التاريخ**، مج10، ص237. (بينما يذكر المقري أنَّ عدد الخيام التي استولى عليها المسلمون كان مائة وخمسين ألف خيمة). (انظر: **نفح الطِّيب**، مج1، ص443).

3- **الكامل في التَّاريخ**، مج10، ص237. (في حين يذكر الذَّهبي والمقري أنَّ المسلمين أخذوا من خيلهم ثمانين ألف فرس). (انظر: **دُول الإسلام**، ج2، ص100 ؛ **نفح الطِّيب**، مج1، ص443).

4- **الكامل في التَّاريخ**، مج10، ص237 ؛ الذَّهبي، **دُول الإسلام**، ج2، ص100 ؛ المقَّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص443.

5- **الكامل في التَّاريخ**، مج10، ص237. (غير أنَّ المقَّري يذكر أنَّ المسلمين استولوا على أربعمائة ألف من الحمير). (انظر: **نفح الطِّيب**، مج1، ص443).

6- **نفح الطِّيب**، مج1، ص443.

7- **روض القرطاس**، ص228. (يذكر ابن الأثير أنَّ المسلمين استولوا على سبعين ألف قطعة من السِّلاح، بينما يذكر ابن خلكان أنَّهم استولوا على ستين ألف درع من دروع النَّصارى). (انظر: **الكامل في التَّاريخ**، مج10، ص237 ؛ **وفيات الأعيان**، مج7، ص8).

8- **روض القرطاس**، ص228.

9- **الكامل في التَّاريخ**، مج10، ص237.

الشَّرع[1]، وقد بِيع الأسير بدرهم والسَّيف بنصف درهم، والحصان بخمسة دراهم والحمار بدرهم[2].

وعلى العموم فقد حقَّق الموحِّدون في موقعة الأرك أعظم نصر خلال حكمهم الطَّويل للأندلس[3]، وقد شبَّه المؤرخون كثيرًا هذه المعركة بمعركة الزَّلاقة، فقد قال المرَّاكشي عن هزيمة النَّصارى في الأرك، بأنَّها أُختًا لهزيمة الزَّلاقة[4].

وتمكن الموحِّدون من نشر سلطانهم الكامل على الأندلس وإيقاف حركة الاسترداد المسيحي مدى حين، كما تجلت أهمية هذه المعركة في أنَّ النَّصارى اضطروا إلى دفع الإتاوات الباهظة[5]، وعقد هدنة وصلح مع الخليفة الموحِّدي في حدود سنة 593هـ/1197م بعد أن قاد الخليفة يعقوب المنصور بعد معركة الأرك الكثير من الغارات على أراضي النَّصارى تمكن خلالها من تحقيق العديد من الانتصارات والحصول على غنائم كثيرة[6].

1- **نفح الطِّيب**، مج1، ص443. (ويذكر ابن أبي زرع أنَّه أخرج خُمس الفيء، وقسَّم الباقي على المجاهدين، ويقول أشباخ أنَّ خُمس الفيء خُصِّص لبناء مسجد فخم في إشبيليَّة وبناء حصن كبير في مرَّاكش لتخليد ذكرى موقعة الأرك). (انظر: **روض القرطاس**، ص229 ؛ **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ج2، ص87-88).

2- الذَّهبي، **دُول الإسلام**، ج2، ص100 ؛ المقَّري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص443 ؛ ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذَّهب**، ج6، ص500).

3- محمَّد عبد الله عنان، **عصر الموحِّدين**، ج5، ص210.

4- **المُعجب**، ص201.

5- عمر راكة: **العلاقات السِّياسيَّة للدَّولة الموحِّديَّة بالإمارات الإسلاميَّة والممالك المسيحيَّة في الأندلس (540هـ-1145م/668هـ/1269م)** رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، قسم التَّاريخ، (2010- 2011م)، ص95.

6- ابن الأثير، **الكامل في التَّاريخ**، مج10، ص237-238 ؛ المقري، **نفح الطِّيب**، مج1، ص443-444.

وساهم هذا النَّصر أيضًا في بعث السَّكينة في نفوس أهل الأندلس، بتخلصهم من تهديد ملك قشتالة، الذي كان يُعد قبل هذه الموقعة مشروعًا لطرد المسلمين نهائيًا من جميع أنحاء الأندلس. فحال هذا النَّصر بين ملك قشتالة وبين تحقيق أطماعه في الأندلس إلى حين، فلو انهزم المسلمون في الأرك لتمكن النَّصارى من التَّوغل في الأراضي الإسلاميَّة والاستيلاء على المدن الكبرى كقرطبة وإشبيليَّة ومرسيَّة وغيرها، وبالتالي فقد حافظ هذا النَّصر على استمرار الوجود الإسلامي في الأندلس، بعد أن كادت أن تسقط في أيدي النَّصارى عند انهيار دولة المرابطين في المغرب[1].

وعقب النَّصر مباشرة سار الخليفة يعقوب المنصور بجيوشه في بلاد النَّصارى يخرب المدن والقرى والحصون، ويغنم ويسبي ويقتل ويأسر[2]، ويذكر المرَّاكشي أنَّه استولى على قلعة رباح بعدما انجلى عنها أهلها، فدخلها وأمر بكنسيتها فَغُيِّرت مسجدًا، فصلَّى فيها المسلمون[3]، واستولى أيضًا على حصون عديدة في أراضي طليطلة دون أن يتصدى له النَّصارى[4]، ثمَّ رجع إلى إشبيليَّة محملًا بالغنائم ودخلها يوم السَّابع والعشرين شعبان 591هـ/6 أوت 1195م فاستقبلته الوفود من سائر البلاد[5]، ومدحه الشعراء ومدحوا هذا الفتح، منهم الشاعر أبو العباس الجراوي الذي نظم قصيدة شعرية يمدح فيها الخليفة المنصور ويُثني على هذا النَّصر المبين[6].

1- معمر الهادي محمَّد القرقوطي، **جهاد الموحِّدين في بلاد الأندلس**، ص207-208.

2- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص229.

3- **المُعجب**، ص201.

4- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص229 ؛ المرَّاكشي،**المُعجب**، ص201.

5- ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج5، ص221.

6- عن القصيدة الشعرية. (انظر:ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج5، ص221-222).

7- الأندلس بعد معركة الأرك:

قبل وفاة الخليفة يعقوب المنصور يوم الجمعة الثاني والعشرين لربيع الأوَّل سنة 595هـ/22 جانفي 1199م[1]، جمع بنيه والموحِّدين ووصَّاهم بوصايا منها قوله "أوصيكم بالأيتام واليتيمة، فقال له الشَّيخ أبو محمَّد عبد الواحد بن أبي حفص محمَّد بن يحي الهنتاني يا سيدنا ومولانا وما الأيتام واليتيمة، فقال الأيتام أهل جزيرة الأندلس، وهي اليتيمة، فإياكم والغفلة عما يصلحها من تشييد الأسوار، وحماية الثغور، وترتيب أجنادها، وتوفير رعايتها"[2].

وقد تولى الحكم بعده ولده محمَّد النَّاصر لدين الله، وعرفت الأندلس في عهده اضطرابات كثيرة، حيث بدأ الضعف يدب في أركان الدَّولة الموحِّدية، فأدى ذلك إلى تكالب النَّصارى على بلادهم،فكانت الهزيمة المذلة للموحِّدين في موقعة حصن العُقاب في صفر 609م/جويلية 1212م[3].

واستمرت الدَّولة الموحِّدية في الأندلس بعد هذه الهزيمة الساحقة بالضعف أكثر فأكثر فاستولى النَّصارى على الكثير من مدنها، واستولى بنو نصر (بنو الأحمر) على ما بقي من دولتها في شرق وجنوب الأندلس.

1- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص230.

2- الوصية كلها. (انظر: ابن سماك العاملي، **الحُلل الموشية**، ص242).

3- ابن سماك العاملي، **الحُلل الموشية**، ص244.

8- العلاقات الخارجية:

أشرنا في المحاضرة السابقة بأنَّ علاقة المرابطين بالموحِّدين كانت علاقة حرب وعداء، ونفس العلاقة ربطت الموحِّدين بالزيريّين في إفريقية والحمَّاديِّين في المغرب الأوسط، فقد مرَّ ابن تومرت المؤسِّس الفقهي للدَّولة الموحِّديَّة في حدود سنة 505هـ/1111م على مدينة بجاية الحمَّاديَّة وأظهر سخطه من الأوضاع الدِّينيَّة والسِّياسيَّة والاجتماعية السائدة آنذاك. وتجلى العداء الشديد بين الموحِّدين والدَّولتين الزيريَّة والحمَّادية في كون الموحِّدين بقيادة عبد المؤمن بن علي الكومي هم من أسقطا هاتين الدَّولتين، فقد سقطت الدَّولة الحمَّاديَّة في أيديهم سنة 547هـ/1152م، والدَّولة الزيريَّة سنة 555هـ/1160م[1].

وفيما يخص علاقة الموحِّدين بالممالك النَّصرانية في شمال الأندلس فقد كانت علاقة عداء وحروب مع جميع الممالك النَّصرانيَّة قشتالة وأراغون وليون والبرتغال وغيرها، وقد بدأ هذا العداء منذ استيلاء الموحِّدين على الأندلس في حدود سنة 541هـ/1147م، وحدثت بينهما معارك وحروب طاحنة كان فيها الانتصار للموحِّدين أحيانًا وللممالك النَّصرانية أحيانًا أخرى، مثل غزوة شنترين سنة 580هـ/1184م والذي استشهد فيها الخليفة الموحِّدي يوسف بن عبد المؤمن ومعركة الأرك الشهيرة سنة 591هـ/1195م بقيادة يعقوب المنصور. ونشير إلى أنَّه تخللت علاقة العداء علاقة السِّلم والموادعة في بعض الأحيان والظروف بين الممالك النَّصرانيَّة والموحِّدين، فلمَّا اشتدت غزوات الموحِّدين على الممالك النَّصرانيَّة وحقَّقت انتصارات عديدة عليهم، سارع ملوكها وأمرائها لطلب الهدنة من الموحِّدين وقد حلت البعثات بإشبيلية في شهر ذي الحجة سنة 568هـ/جويلية 1173م على الخليفة يوسف بن عبد المؤمن من قبل حاكم طليطلة الكون نونيو

1- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج9، ص372-373 ؛ يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ص146.

ودي لارا، وألفونسو الثَّامن ملك قشتالة، وملك البرتغال ألفونسو هنريكيز لطلب الهدنة، وبعد مفاوضات استمرت شهرين كاملين تكللت بقبول الخليفة توقيع الهدنة مع هؤلاء الملوك[1].

كما سارع المغامر ورئيس العصابة التي عاثت في غرب الأندلس فسادًا واستولت على مدن المسلمين وممتلكاتهم "جيرالدو سمبافور" إلى طلب الهدنة مع الموحِّدين أيضًا لأنَّه شعر بأنَّه فقد مكانته وأغلقت في وجهه فرص المغامرة وأنَّ الموحِّدين سوف يتفرغون لقتاله، فسار في صحبة رجاله الثلاثمائة والخمسين إلى إشبيلية سنة 569هـ/1174م والتمس قبوله عبدًا وخادمًا للخليفة يوسف لكي يضمن قوت يومه فقبل الخليفة التماسه وأحسن إليه وأكرمه[2].

9- سقوط الدَّولة:

تعرض الموحِّدون إلى بعض الهزائم القاسية من طرف النَّصارى منها على الخصوص معركة حصن العقاب سنة 609هـ/1212م والتي كانت سببًا في تراجع دولة الموحِّدين وبداية النَّهاية في الأندلس والمغرب، حيث لم تقم لها قائمة بعدها، واستمرت في الضعف الشديد إلى أن سقطت نهائيًا بسقوط عاصمتهم مراكش على يد المرينيِّين سنة 668هـ/1269م.وقد انقسم المغرب على إثر ذلك إلى ثلاث دول هي الحفصيَّة في المغرب الأدنى والزيانيَّة في المغرب الأوسط والمرينيَّة في المغرب الأقصى، واستولى بني نصر (بني الأحمر) على الأندلس[3].

1- ابن صاحب الصلاة، **المصدر السَّابق**، ص436-437 ؛ ميراند، **المرجع السَّابق**، ص262.

2- البيذق، **المصدر السَّابق**، ص132 ؛ ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج5، ص130 ؛ ميراند، **المرجع السَّابق**، ص262 ؛ محمَّد عبد الله عنان، **عصر الموحِّدين**، ج5، ص90.

3- محمَّد عيسى الحريري: **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610هـ/1213م)-(869هـ/1465م)** دار القلم للنَّشر والتَّوزيع، الكويت، 1987م، ط2، ص31 وما بعدها.

المحاضرة الثالثة عشر: دولة بني نصر (بني الأحمر) في الأندلس

1- تأسيس الدَّولة:

محمَّد بن الأحمر الأوَّل هو الغالب بالله أمير المسلمين الشَّيخ أبو عبد الله محمَّد بن يوسف بن محمَّد بن نصر بن قيس الخزرجي، من ولد أمير الأنصار سعد بن عبادة، وهو مؤسِّس الدَّولة النَّصريَّة، تسلم إمارة مدينة أرخونة في رمضان 629هـ/1232م وحاول التَّوسع على مدينتي قرطبة وإشبيلية لكنه فشل، وأمام الشهرة والتأيِّيد اللَّذين تمتع بهما "أبو عبد الله محمَّد بن يوسف بن هود الملقب بسيف الدَّولة وبالمتوكل على الله والمستعين" في الأندلس بعد سقوط دولة الموحِّدين، أعلن محمَّد بن الأحمر دخوله في طاعته في شوال سنة 631هـ/جويلية 1234م واكتفى بإمارته على أرخونة وجيان وضواحيهما، لكن التنافس بين الأميرين استمر خفيفًا إلى أن استولى فرديناندو الثالث ملك قشتالة على قرطبة في جمادى الأولى 633هـ/1236م بمساعدة ابن الأحمر من دون أن ينتبه الزعماء المسلمون، ولما لم يُنجد ابن هود قرطبة والتي كانت تحت إمرته، اهتزت مكانته لدى أهل الأندلس وعلت مكانة ابن الأحمر الذي عرف كيف يستغل الموقف[1].

وكان ابن هود قد ولَّى على مدينة غرناطة عتبة بن يحي المغيلي، وكان خصم ابن الأحمر يأمر بسبه على المنابر، وكان ظلومًا جائرًا لذلك ثار أبناء غرناطة بتحريض من ابن أبي خالد أحد أعيان مدينة جيان واقتحموا القصبة وقتلوا عتبة وأعلنوا طاعتهم لابن الأحمر، فدخلها هذا الأخير في رمضان 634هـ/ماي 1237م وجعلها حاضرته ومقر حكمه بدلًا من جيان المهددة باستمرار من قبل النَّصارى. ولما قُتل ابن هود في المرية في ظروف غامضة بعد خيانة واليها له سنة 635هـ/1238م دبت الفوضى في المدينة ممَّا سهَّل دخول ابن الأحمر إليها في شوال سنة

1- يوسف شكري فرحات: **غرناطة في ظلِّ بني الأحمر (دراسة حضارية)** دار الجيل، بيروت، 1993م، ط1، ص19.

635هـ/1238م. أما مالقة فقد أعلنت ولائها لابن الأحمر في السنة التالية. وقد استطاع محمَّد بن الأحمر الأوَّل أن ينظم شؤون المملكة الفتية فوطَّد دعائمها وراقب مداخيل بيت المال وقضى على الفوضى والفساد. وامتدت حدود مملكته الجغرافية من مدينتي جيان وبياسة حتَّى البحر الرومي (البحر الأبيض المتوسط) وشرقًا حتَّى المرية وغربًا حتَّى مصب الوادي الكبير، ويخترقها في الوسط نهر شنيل والدارو، وفيها جبال سييرا نيفادا وهضاب البشرات[1].

2- نظام الحكم والمذهب:

اتبع بنو الأحمر النظام الوراثي، حيث اقتصر الحكم في نسل محمَّد بن الأحمر الأوَّل، أمَّا مذهبهم فقد كان سنيًا مالكيًا، ويقول ابن الخطيب في هذا الشأن أنَّ أحوال هذا القطر في الدِّين وصلاح العقائد أحوال سنية، والأهواء والنِّحل فيهم معدومة، ومذهبهم على مذهب مالك بن أنس إمام دار الهجرة جارية[2].

3- النظم الإدارية والعسكرية:

3-1- الحجابة:

كانت مهمة الحاجب لدى بني نصر في البداية تتلخص في إدخال الناس على الحاكم، ومع مرور الوقت فإنَّ دوره اتسع واتخذ أبعادًا جديدة، فأصبحت له صلاحيات وسلطات داخل الكيان السِّياسي، ويعتبر أبو النعيم رضوان من أفضل حجاب الدولة النَّصرية، حيث كان حسن الخلق، واسع الصدر، أصيل الرأي، رزين العقل، كثير التجمل، عظيم الصبر، عزيز النفس، عالي

1- يوسف شكري فرحات، **المرجع السَّابق**، ص19-20 ؛ أسعد حومد، **المرجع السَّابق**، ص123.

2- ابن الخطيب: **اللَّمحة البدريَّة في الدَّولة النَّصريَّة**، منشورات دار الآفاق، بيروت، 1978م، ص38.

الهمة، بادي الحشمة، آية في العفة مثلًا في النزاهة، ملتزمًا بالسنَّة، ثاقب الذهن، عارفًا للسياسة مكرمًا للعلماء، مقتصدًا في المطعم والملبس. اتخذه السلطان أبو الوليد إسماعيل حاجبًا له، وحينما تولى شقيقه أبو الحجاج ضم إلى جانب الحجابة، رتبة الوزير، فقام بالأمر أحسن قيام، واجتهد في تنفيذ الأحكام، وتولي جواب الولاة، وتطبيق أوامر السلطان وقيادة الجيوش، ولما تولى السلطان الغني بالله، أخذ له أبو نعيم البيعة، وأعانه على أمره، وتولى الوزارة، ونشر العدل بين ربوع المملكة فارتاحت الرعية لسياسته، وظلَّ خير معين، وأعظم مستشار، إلى أن لحق بربه في 28 رمضان 760هـ/23 أوت 1358م[1].

3-2- الوزارة:

الوزير شخصية كبيرة في البلاط النصري، بعد السلطان، تعاونه في الإشراف على السِّياسة الداخلية والخارجية، وكان لعدد من الوزراء دور في تحديد مصير العرش، ومن الطبيعي أن تتوفر في الوزير الذي يمثل السلطة التنفيذية، مجموعة من الصفات، منها أن يكون من عليَّة القوم أو النخبة وأن يتحلى بالرصانة والتواضع والمعرفة، إلى جانب الحزم والجد وحفظ السر والوفاء للعرش. وقد درج السلاطين على احترام أهل العلم وأسندوا المناصب العالية إلى رجال الأدب الذين ارتقى بعضهم من منصب كاتب إلى منصب وزير، كما تولى منصب الوزير في بعض الأحيان، الفقراء فابن زمرك كان ابن حداد فقير منحي البيازين الشعبي، وأبو بكر محمَّد بن عاصم كان من نسب وضيع كذلك، وأما أبو النعيم رضوان الذي تقلد الوزارة أيضًا فكان من الأرقاء النَّصارى، وأبو السرور مفرج كان أيضًا من أصل نصراني، ولم يعين بني الأحمر في منصب الوزارة أحد من اليهود[2].

1- محمَّد حسن العيدروس، **المرجع السَّابق**، ص91-92.

2- يوسف شكري فرحات، **المرجع السَّابق**، ص62-63.

3-3- ديوان الرسائل:

كان يرأس الدواوين أو الدوائر الحكومية أدباء معروفون يستعين بهم الوزير لتنفيذ المهام ويعاونهم كتَّاب وموظفون لمختلف الفروع المتصلة بهم، وأهم الدواوين ديوان الرسائل. وإدارة الديوان تابعة للسلطان، مركزها في قصر الحمراء، وكانت مهمة هذا الديوان إقامة الصلة بين الحاكم والولاة والرعية والخارج، فدور كاتب السر هو تأمين المراسلات الرسمية، ومن الكتَّاب المعروفين الذين تسلموا ديوان الرسائل ابن هيضم الرعيني وابن الخطاب واليحصبي اللوشي أيام محمَّد الأوَّل وأبو عبد الله محمَّد بن الحكيم الرندي أيام محمَّد الثالث، أمَّا لسان الدِّين ابن الخطيب، وابن زمرك، فقد كانا أشهر كاتبين عرفهما ديوان الرسائل[1].

3-4- الشرطة:

خطة الشرطة في الأندلس في عهد بني الأحمر كانت مضبوطة ومعروفة لدى الجميع يعرف صاحبها إما ب "صاحب المدينة" أو "صاحب الليل"، وكان يكلف بإقامة حد الزنا، وشرب الخمر، وكثير من الأمور الشرعية. ويساعد صاحب المدينة في القيام بواجبه الأمني، وتنفيذ مهامه جماعة من الحراس الذين كان منهم من يترقب الجناة، ومنهم من يطوف ليلًا للحفاظ على الأمن داخل غرناطة، ويعرفون باسم الدرابين، لكون البلاد بها دروب بأغلاق، ولكل زقاق حارس يبيت فيه، له سراج مغلق وكلب وسلاح معه لتأمين أهل غرناطة من اللصوص. وكان بغرناطة الشرطة العليا والتي تنظر في جرائم الطبقات العليا في الدَّولة، والشرطة السفلى والتي تختص بقضايا العامة

1- يوسف شكري فرحات، **المرجع السَّابق**، ص65-66.

وأحيانًا يتولى شخص وظيفة الشرطة والحسبة في نفس الوقت، مثل أبي بكر محمَّد بن فتح بن علي الأشبرون الذي جمع بين المنصبين في عهد السلطان محمَّد الفقيه النصري[1].

3-5- القضاء:

حافظ سلاطين بني الأحمر على تلك الهالة التي كانت تحيط بمركز القضاء، ولم يكن يشغل ذلك المنصب سوى العلماء والفقهاء. وكان يطلق على رئيس القضاة قاضي الجماعة وقاضي الحضرة وقاضي غرناطة الذي كان خطيب المسجد في العاصمة، ويليه في مرتبة قضاة مالقة والمرية ووادي آش ورندة وبسطة وبلش وسواها من المدن الكبرى في المملكة، ولقاضي الجماعة سلطة على سائر القضاة فيشرف على أعمالهم ويرشدهم، ويراقب سلوكهم الديني والأخلاقي والاجتماعي، ويتأكد من صحة الأحكام التي يصدرونها. إلَّا أنَّ تلك السلطة كانت مبدئية لأنَّ صاحب الحمراء كان يصدر مرسومًا يعرف باسم "ظهير ملكي" يعين بموجبه قضاة الأقاليم من دون العودة إلى رأي قاضي الجماعة. ورئيس القضاة يجب أن يتحلى بالورع ورجاحة العقل وسعة العلم والبعد عن الهوى والميل إلى الحلم، مع جرأة في حماية الحق ومحاربة الباطل والتحلي بالصبر وسلامة حاسة السمع والبصر والنطق. ومن أشهر القضاة أبو بكر محمَّد بن فتح علي الإشبيلي الملقب بالأشبرون، أبو عبد الله محمَّد بن هشام، أبو جعفر أحمد بن محمَّد القرشي وأبو الحسن النباهي، وأبو بكر عاصم الغرناطي وغيرهم. ومن الوظائف الملحقة بالقضاء وظيفة الحسبة أو إدارة السوق، وهي وظيفة شعارها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2].

1- محمَّد حسن العيدروس، **المرجع السَّابق**، ص96-97.

2-يوسف شكري فرحات، **المرجع السَّابق**، ص81 وما بعدها.

3-6- الجيش والأسطول:

تاريخ دولة بني الأحمر حافل بالأحداث الخطيرة، ولم تعرف الدَّولة أميرًا خلا عهده من الاضطرابات الداخلية والحروب الخارجية[1]، وبلا شك صمودها لمدة قرنين ونصف في وجه الممالك النَّصرانية لم يتحقق إلَّا بوجود جيش منظم وقوي[2].

وهذا الجيش يتكون من صنفين من الجند، أندلسي ومغاربي، أمَّا الأندلسي فقد كانت تستند قيادته إلى رئيس من القرابة أو إلى شخص من كبار الدَّولة، أمَّا المغاربي فيعود أصله إلى قبائل مرينية كالزناتية والتيجانية والمغراوية والعجيسية، إضافة إلى قبائل العرب في المغرب، وكان هذا الجيش يرجع في أموره إلى رئيس هذه القبائل. وكانت تمثل الفرق المغاربية مجموعة من الفرسان المتطوعين في الجيش الغرناطي يعرفون بجنود الغزاة، اشتهر قادتهم باسم شيوخ الغزاة، وهم من الأسرة الحاكمة من المرينيّين، وحظي هؤلاء الغزاة بالمحل الأرفع والمكان الأنفع داخل بلاط ملوك بني نصر، لشدة بأسهم في الحرب، ومواقفهم المشهودة في الجهاد، وطول تجربتهم في القتال[3].وضمَّ جيش بني الأحمر أيضًا مجموعة من المتطوعين الذين حملوا السلاح بدافع الجهاد، وعناصره كانت من أبناء غرناطة وسكان الأقاليم لاسيما منطقة البشرات الوعرة، وأظهرت تلك المجموعة بسالة نادرة واستعدادًا للاستشهاد في سبيل الدِّين[4].

1- عن الحروب الخارجية والمعارك التي حدثت بين دولة بني الأحمر والممالك النصرانية. (انظر: مجهول: **نُبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر – تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيّين إلى المغرب**، ضبطه وعلَّق عليه الفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدِّينية، القاهرة، 2002م، ط1، ص6 وما بعدها).

2-يوسف شكري فرحات، **المرجع السَّابق**، 71-72.

3- محمَّد حسن العيدروس، **المرجع السَّابق**، ص104.

4- يوسف شكري فرحات، **المرجع السَّابق**، ص72.

كما عمل حكام الدَّولة على الاهتمام بالتحصينات العسكرية، فشيدوا سلسلة من القلاع والحصون المنيعة على طول الحدود الممتدة بين طريف والمرية[1]. وكانت مهمة الجيش ملازمة هذه القلاع والحصون لضبط المراقبة، والتحكم في حماية المدن وضواحيها، وهذا ما يفسر لنا أنَّ العدو النصراني لم يستول على غرناطة إلَّا حين تمكن من قلاعها وحصونها الواحد تلو الآخر في فترات متفاوتة[2].

كما اهتم النَّصريون بالأسطول البحري، وعُرف أمير البحر باسم قائد البحر وقائد الأسطول، وكانت المراكب البحرية تسير بواسطة المجاذيف والأشرعة معًا، وكانت على نوعين المراكب الخفيفة لبضعة أشخاص، والمراكب الضخمة التي تضم بين مائتين وثلاثمائة محارب مسلحين بالأقواس والسيوف والقذافات المتنوعة. والمعروف أنَّ القوات البحرية النَّصرية لم تكن إجمالًا بمستوى الأساطيل الأراغونية، والمعروف أيضًا أنَّ المراكب النصرية مدَّت جسرًا بحريًا بين مملكة غرناطة وبلاد العُدوة لإيصال المؤن ونقل الجيوش، وبعض هذه المراكب يحمل كان يحمل الجياد في أوقات الحروب كي يتبع الإنزال غارة سريعة[3].

4- سقوط الدَّولة:

عمرت دولة بني الأحمر أكثر من قرنين ونصف القرن، وفي يوم الاثنين الثاني من ربيع الأوَّل 897هـ/2 جانفي 1492م فتحت أبواب غرناطة لملكي قشتالة وأراغون فرديناند وإيزابيلا[4]، بعد

1- يوسف شكري فرحات، **المرجع السَّابق**، ص72.

2- محمَّد حسن العيدروس، **المرجع السَّابق**، ص103-104.

3- يوسف شكري فرحات، **المرجع السَّابق**، ص81.

4- مجهول، **نُبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر**، ص42.

أن اتخذ حاكمها "أبو عبد الله محمَّد بن علي أبو الحسن" وأعيان غرناطة قرار تسليم المدينة نتيجة اليأس وانتشار الجوع والمرض بها بسبب الحصار، وكانت شروط التَّسليم سبعة وستين شرطًا[1] منها:

- تسليم غرناطة إلى فرديناند وإيزابيلا.

- تأمين المسلمين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم.

- احتفاظ المسلمين بشريعتهم وقضائهم ونظمهم بإشراف حاكم نصراني.

- تأمين حرية الدِّين والشعائر والحفاظ على المساجد والأوقاف.

- أن يجتاز من يشاء من المسلمين إلى المغرب في سفن الإسبان لمدة ثلاثة أعوام من دون مقابل.

- أن لا يجبر مسلم أو مسلمة على التنصر.

- أن يخرج أبو عبد الله محمَّد بن علي أبو الحسن من قصر الحمراء ليقيم حيث يشاء في ممتلكاته.

- أن يوافق البابا على الوثيقة[2].

وغادر في نفس اليوم الذي سُلمت فيه غرناطة، حاكمها أبو عبد الله محمَّد بن علي أبو الحسن قصره مع أهله، وتوجه إلى قرية مطلة على غرناطة، حيث حُدِّدت هذه القرية مكانًا لإقامته تحت إشراف النَّصارى. وقد ذرف دموعه حسرةً وألمًا على المُلك الضائع، فنظرت والدته عائشة الحرة ونهرته وقالت بيتها الشعري الشهير:

إبكِ مثل النِّساء مُلكًا مُضاعًا لم تحافظ عليه مثل الرِّجال[3]

1- **الموسوعة الميسرة في التَّاريخ الإسلامي**، ص408.

2- مجهول، **نُبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر**، ص41 ؛ **الموسوعة الميسرة في التَّاريخ الإسلامي**، ص408-409؛ ريما محمَّد درنيقة، **المرجع السَّابق**، ص71.

3- **الموسوعة الميسرة في التَّاريخ الإسلامي**، ص409 ؛ ريما محمَّد درنيقة، **المرجع السَّابق**، ص71-72.

للأسف الشديد لم يحترم النَّصارى نصوص المعاهدة، وخانوا المسلمين، فقد أعقب تسليم غرناطة موجة من التعذيب الوحشي الذي حل بمن بقي في البلاد من المسلمين،ولم تنته هذه الموجة إلَّا في القرن السابع عشر الميلادي، بعد أن عذب من المسلمين من عذب، وشرد من شرد وقتل من قتل، حتَّى لقد ثبت أنَّ جملة من نُفي من مسلمي الأندلس عقب سقوط غرناطة بلغت ثلاثة ملايِّين نسمة[1].

المحاضرة الرابعة عشر: العلاقات السياسية بين الأندلس ودول المغرب والممالك النصرانية من القرن 7 إلى 9هـ/13-15م

موضوع العلاقات السياسية بين الدول موضوع مهم جدًا، لهذا خصصت له محاضرة أتطرق خلالها للحديث عن العلاقات السياسية بين مملكة بني الأحمر ودول المغرب الإسلامي من جهة، وبين مملكة بني الأحمر والممالك النصرانية من جهة أخرى، وأدرس هذه العلاقات في الفترة الممتدة ما بين القرن السابع والتاسع الهجريين الموافق للقرنين الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين.

1- علاقات بني الأحمر بالحفصيِّين في المغرب الأدنى:

كانت العلاقات السياسية بين بني نصر والحفصيِّين في المغرب الأدنى أخوية، فقد تبادل الوزير القوي النفوذ في السلطة الحفصية أبي عبد الله بن تافراجين الرسائل الودية مع سلطان غرناطة محمَّد الخامس، وتواصل تبادل هذه الرسائل في السنوات الأربعة الأخيرة من حكم السلطان الحفصي أبي إسحاق، وحرص هذا الأخير بعد أن بايعه صاحب غرناطة بعبارات رنانة على إرسال

1- عبد اللَّطيف عبد الهادي، **المرجع السَّابق**، ص264.

بعض الهدايا إليه، والمتمثلة في الرقيق والخيول الأصيلة[1]. ويبدو أنَّ اتساع نفوذ الحفصيِّين داخل بلاد المغرب الإسلامي وخارجها أثر كبير في تقديم مساعدات كثيرة في مختلف المناسبات للمسلمين في الأندلس[2].

ولم يتدخل السلطان الحفصي أبو عمرو عثمان في شؤون الأندلس، بقدر ما تدخل جده أبو فارس عبد العزيز، ولكنه ربما أرسل من حين لآخر بعض الإعانات المالية إلى ملوك غرناطة في سبيل الجهاد، لا سيما الإعانة التي وجهها سنة 868هـ/1464م إلى أبي الحسن علي بن سعد الذي ارتقى منذ مدَّة قصيرة إلى عرش غرناطة وأضاع منذ حين جبل طارق[3].

2- علاقات بني الأحمر بالزيانيِّين في المغرب الأوسط:

كانت علاقتهم السياسية بالزيانيِّين في المغرب الأوسط، علاقة حسنة أيضًا، وتوثقت العلاقة بينهما في جميع المجالات من سياسية وعسكرية واجتماعية وثقافية واقتصادية، ففي الجانب السِّياسي شهدت العلاقة جوانب متعددة منها لجوء الدَّولة الزيانية إلى إبعاد المعارضين لها إلى الأندلس، ودعم بنو الأحمر للسلطان أبي حمو موسى الثاني سياسيًا وعسكريًا، وبالمقابل دعم الزيانيون أيضًا بني الأحمر في حروبهم ضدَّ النَّصارى الصَّليبيِّين، وكانت المساعدة على شكل أحمال من الذهب والفضة والخيل المسومة والمراكب المشحونة بالزرع، كما سمحت للأفراد على شكل جماعات الذهاب إلى الأندلس بدافع الجهاد في سبيل الله، وتوثقت أيضًا العلاقة بتبادل الهدايا والتهاني بين زعماء الدَّولتين، وباستقبال الدَّولة الزيانية سكان الأندلس المهاجرين في مدن وسواحل

1- روبار برنشفيك: **تاريخ إفريقيَّة في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م**، نقله إلى العربية حمَّادي السَّاحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ط1، ج1، ص213 وما بعدها.

2- يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ص202.

3- روبار برنشفيك، **المرجع السَّابق**، ص291.

المغرب الأوسط، منهم من اشتغل مناصب مهمة في الدَّولة كالوزارة والحجابة وخاصةً في عهد السلطان أبي حمو موسى الأوَّل، ومنهم العلماء الذين تولوا مهام التَّدريس في مساجد ومدارس تلمسان وغيرها من المدن الزيانية، كما كانت الدَّولة الزيانية تمد المساعدة للمسلمين في الأندلس عند تعرضهم لبلاء أو مجاعة وتمدهم بالمال والغذاء، ففي سنة 763هـ/1362م قدمت لهم ما مقداره خمسين ألف قدح من الزرع وثلاثة آلاف دينار من الذهب[1].

3- علاقات بني الأحمر بالمرينيّين في المغرب الأقصى:

يمكن وصف العلاقات السياسية بين بني الأحمر في الأندلس والمرينيّين في المغرب الأقصى بأنَّها كانت علاقات يشوبها الحذر والترقب، ومرجع ذلك إلى تشكيك سلاطين بني الأحمر كثيرًا في نوايا بني مرين وتطلعاتهم في بلاد الأندلس، ولذلك كان يغلب على هذه العلاقات التذبذب بين الود المتبادل أو العداء والنفرة في بعض الأحيان. وقد ساعد المرينيون بنو الأحمر في الأندلس لصد النَّصارى خلال اجتياحهم لأراضي المسلمين الباقية في الأندلس مرات عديدة، ولكن حدثت خلافات بين الدَّولتين، لأنَّ بني الأحمر بقوا دائمًا يتوجسون خيفةً من أطماع بني مرين في الأندلس[2].

1- بسام كامل عبد الرزاق شقدان: **تلمسان في العهد الزياني 633-962هـ/1235-1555م**، رسالة ماجستير في التَّاريخ، جامعة النَّجاح الوطنيَّة كلية الدِّراسات العليا، قسم التَّاريخ، نابلس، فلسطين، (2001-2002م)، ص120 وما بعدها.

2- محمَّد عيسى الحريري، **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني**، ص227 وما بعدها.

4- علاقات بني الأحمر بالممالك النَّصرانية:

علاقة بني نصر بالممالك النَّصرانيَّة في الجانب السياسي كانت علاقة حرب وعداء شديد، وقد حدثت حروب عديدة جدًا بين الطرفين، وبالرغم من تحالف الممالك النَّصرانيَّة على إسقاطها خاصةً مملكتي قشتالة وأراغون، إلَّا أنَّ مملكة غرناطة استطاعت المقاومة والصمود ورد ما يعرف بحروب الاسترداد في الأندلس، ومن أهم أسباب صمودها لأكثر من قرنين ونصف القرن نذكر:

- بُعد مملكة غرناطة عن متناول أيدي النَّصارى القابعين في المناطق الشمالية، بينما هي تقع في أقصى الجنوب.

- سهولة الاتصال فيما بينها وبين دول المغرب التي كانت تمدها بالعون عند الضرورة بسهولة ويسر.

- تدريب سكانها جميعًا على حمل السلاح، واستعدادهم للقتال في أي وقت من الأوقات بالإضافة إلى قدوم عدد كبير من نازحي الأندلس إليها، وتصميمهم على الصمود والتضحية.

- الوازع الدِّيني المتمثل في الجهاد في سبيل الله الذي التزم به سكان هذه المملكة[1].

ونشير إلى أنَّ علاقة العداء ليست وحدها التي ميزت العلاقة بين الطرفين، بل كانت هناك علاقة السِّلم بإبرام الطرفين المتحاربين للهدنة، ونذكر على سبيل المثال الهدنة التي حدثت زمن السلطان النَّصري يوسف الثالث (810-820هـ/1408-1418م) مع مملكة قشتالة لوقف الحرب لمدة سنتين، وعندما أراد الغرناطيون تجديدها رفض القشتاليون ذلك. ولقد استمرت

1- ريما محمَّد درنيقة، **المرجع السَّابق**، ص67.

الحروب بين الطرفين المتخاصمين خاصةً عندما بدأ الضعف يدب في مملكة بني الأحمر إلى أن سقطت نهائيًا في يد النَّصارى سنة 897هـ/1492م[1].

1- عبد القادر قلَّاتي، **المرجع السَّابق**، ص141 وما بعدها.

خاتمة

خلال دراستنا لموضوع التَّاريخ السِّياسي للأندلس في العصر الوسيط، توصلنا للعديد من النتائج أهمها:

– فتح البربر بقيادة طارق بن زياد، الأندلس وضموه لممتلكات الخلافة الأموية، وقضوا على حكم القوط لهذه البلاد والذي استمر لثلاثة قرون.

– تميز عصر الولاة في الأندلس باحتدام الصراع العرقي بين القبائل العربية، حيث انتقل الصراع التاريخي الذي حدث في المشرق إلى الأندلس بين العرب القيسية والكلبية.

– اتبع بعض الولاة في الأندلس سياسة القسوة والظلم ضدَّ الرعية، فأدى ذلك إلى اندلا ع العديد من الثورات كرد فعل على هذه السِّياسة، مع وجود فترات من السِّلم والرخاء لتميز بعض الولاة بالعدل.

– عرفت الأندلس في العهد الأموي الذي دام حوالي ثلاثة قرون ازدهارًا منقطع النظير على جميع الأصعدة والميادين، فكانت مرحلة حكمهم لهذه البلاد هي أزهى فترات حكم المسلمين والتي استمرت لأكثر من ثمانية قرون.

– تمكن المرابطون والموحِّدون من نجدة ما تبقى من الأندلس بعد سقوط طليطلة سنة 478هـ/1085م وهذا بالتَّصدي للنَّصارى الصَّليبيِّين وإيقاف زحفهم الجارف على بلاد المسلمين، حيث خاضوا معهم معارك مدوية أشهرها على الإطلاق معركتي الزَّلاقة سنة 479هـ/1086م والأرك سنة 591هـ/1195م.

- ضمَّ المرابطون بلاد الأندلس إلى دولتهم، واستولوا عليها سنة 483هـ/1090م، حيث خلع الأمير يوسف بن تاشفين أمراء الطَّوائف الذين ثبتت خيانتهم بتعاونهم مع النَّصارى، وقد حكموا الأندلس أكثر من نصف قرن، ثم استولى عليها الموحِّدون ابتداءً من سنة 541هـ/1146م.

- حكم بنو الأحمر الأندلس بعد سقوط الدَّولة الموحِّدية لأكثر من قرنين ونصف القرن، وتمكنوا من التَّصدي لزحف الممالك النَّصرانية على بلادهم بمساعدة من دول بلاد المغرب الإسلامي الثلاث الحفصية، الزيانية، والمرينية.

- يمثل سقوط مدينة غرناطة آخر قلاع المسلمين في الأندلس سنة 897هـ/1492م نهاية للعصور الوسطى الإسلاميَّة وبداية الفترة الحديثة بتعرض سواحل بلاد المغرب الإسلامي للغزو الأوروبي.

- تأثر الأندلس بالأحداث السِّياسية التي عاشها المغرب والمشرق الإسلاميين خلال العصر الوسيط، والعكس صحيح، أي أنَّ التأثير كان متبادلًا بين الأقطار الثلاثة.

- حكم المسلمون الأندلس لأكثر من ثمانية قرون، وصنعوا تاريخًا حافلًا وحضارة راقيةً، استفادت منها جميع شعوب العالم.

المصادر والمراجع

– القرآن الكريم

– المصادر التَّاريخيَّة: (كتب التَّاريخ العام – كتب التراجم والسير)

– ابن الأبَّار، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت 658هـ/1260م): **الحُلَّة السِّيراء**، حقَّقه وعلَّق حواشيه حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، مج1، مج2، 1985م.

– ـــــــــــ: **التَّكملة لكتاب الصِّلة**، تحقيق الفريد بل، وابن أبي شنب، المطبعة الشرقيَّة، الجزائر، 1919م.

– ابن الأثير، عز الدِّين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم الشيباني (ت 630هـ/1232م): **الكامل في التَّاريخ**، دار صادر للطِّباعة والنَّشر، بيروت، مج9، مج10، 1966م.

– ـــــــــــ: **الكامل في التَّاريخ**، راجعه وصحَّحه محمَّد يوسف الدَّقاق، دار الكتب العلميَّة، بيروت، (ط1، مج4– مج5، 1987م)، (ط4، مج2003،9م).

– ابن بسَّام، أبو الحسن علي بن بسَّام الشَّنتريني (ت 542هـ/1147م): **الذَّخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق سالم مصطفى البدري، ط1، دار الكتاب العلميَّة، بيروت، ج1، 1998م.

– ابن بلكين، عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس الزيري الصَّنهاجي (توفي بعد 483هـ/1090م): **مذكرات الأمير عبد الله**– أو –**كتاب التِّبيان**، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، 1988م.

- البيذق، أبو بكر بن علي الصَّنهاجي (توفي أواخر القرن السَّادس الهجري): **أخبار المهدي بن تومرت**، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، ط2، المؤسَّسة الوطنيَّة للكتاب، الجزائر، 1986م.

- ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمَّد بن عبد الله الإشبيلي (ت529هـ/ 1134م): **قلائد العقيان في محاسن الأعيان**، قدم له ووضع فهارسه محمَّد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م.

- ابن الخطيب، لسان الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله بن أحمد السليماني (ت 776هـ/1374م): **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثَّالث من كتاب أعمال الأعلام**، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبَّادي ومحمَّد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1964م.

- ـــــــــــ: **تاريخ إسبانية الإسلاميَّة،أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق وتعليق إ.ليفي بروفنسال، ط1، مكتبة الثقافة الدِّينيَّة، القاهرة، 2004م.

- ـــــــــــ: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، حقَّق نصه ووضع مقدمته وحواشيه محمَّد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، (ط2، مج1، 1973م) (ط1، مج2، 1974م) (ط2، ج4، 1975م).

- ـــــــــــ: **اللَّمحة البدريَّة في الدَّولة النَّصريَّة**، منشورات دار الآفاق، بيروت، 1978م.

- ابن خلدون، عبد الرَّحمان بن محمَّد بن خلدون (ت 808هـ/1406م): **مُقَدِّمَة ابن خلدون**، وهي الجزء الأول من **تاريخ ابن خلدون المسمَّى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001م.

-ـــــــــــ: **تاريخ ابن خلدون** المسمى **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، ج4، ج6، 2000م.

- ـــــــــــ: **العِبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ج4، ج6، 1971م.

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدِّين أحمد بن محمَّد بن أبي بكر (ت 681هـ/1282م): **وَفياتُ الأعيانِ وأنباءُ أبناءِ الزمانِ**، تحقيق إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت،مج5، مج7، 1994م.

- الذَّهبي، شمس الدِّين أبي عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/1348م): **تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق عمر عبد السَّلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، مج34، 1994م.

- ـــــــــــ: **دُول الإسلام**، حقَّقه وعلَّق عليه حسن إسماعيل مروة، قرأه وقدَّم له محمود الأرناؤوط، ط1، دار صادر، بيروت، ج2، 1999م.

- الرَّقيق القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (توفي بعد سنة 425هـ/1033م): **قطعة من تاريخ إفريقية والمغرب**، تحقيق عبد الله العلي الزيدان، عز الدِّين عمر موسى، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

- ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله (ت 726هـ/1325م): **الأنيس المُطرِب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصورة للطِّباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

- الزركشي، أبو عبد الله محمَّد بن إبراهيم: **تاريخ الدَّولتين الموحِّديَّة والحفصيَّة**، تحقيق وتعليق محمَّد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م.

- ابن سماك العاملي، أبو القاسم محمَّد بن أبي العلاء محمَّد بن سماك المالقي الغرناطي (من أهل القرن الثَّامن الهجري): **الحُلَلُ المَوْشِيَّة في ذكر الأخبار المرَّاكشيَّة**، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، ط1، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 2010م.

- ابن صاحب الصلاة، عبد الملك (ت 594هـ/1198م): **المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين (تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحِّدين)**، تحقيق عبد الهادي التازي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.

- ابن عبد الحكم، عبد الرَّحمان بن عبد الله (ت 257هـ/871م): **فُتُوح مصر والمغرب**، تحقيق عبد المنعم عامر، شركة الأمل للطِّباعة والنَّشر، مصر، ج1، د.ت.

- ابن عذارى المراكشي (كان حيًا سنة 712هـ/1312م): **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، ج1، 1983م.

-ـــــــــــــ: **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، ط2، دار الثقافة، بيروت، ج2، 1980م.

- ـــــــــــــ: **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق إحسان عبَّاس، ط5، دار الثقافة، بيروت، ج4، 1998م.

- ـــــــــــــ: **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحِّدين**، تحقيق محمَّد إبراهيم الكتاني، ط2، محمَّد بن تاويت، مطبعة النَّجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ج5، 1985م.

- ابن العماد الحنبلي، شهاب الدِّين أبي الفلاح عبد الحيّ بن أحمد بن محمَّد العكريّ الدِّمشقي (ت 1089هـ/1678م): **شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب**، أشرف على تحقيقه وخرَّج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، حقَّقه وعلَّق عليه محمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، بيروت، مج6، 1986م.

- ابن القطان المُرَّاكشي، أبو محمَّد حسن بن علي بن محمَّد بن عبد الملك الكتامي (توفي في منتصف القرن السَّابع الهجري): **نُظُمُ الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزَّمان**، درسه وقدَّم له وحقَّقه محمود علي مكيّ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج6، 1990م.

- ابن القوطية، أبو بكر محمَّد بن عبد العزيز القرطبي (ت 367هـ/977م): **تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1410هـ/1989م.

- ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري (كان حيًا أواخر القرن السَّادس الهجري): **تاريخ الأندلس وهو قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء**، تحقيق أحمد مختار العبَّادي، مطبعة معهد الدِّراسات الإسلاميَّة، مدريد، 1971م.

- ابن الكردبوس، ابن الشباط، محمَّد بن علي بن محمَّد بن الشباط المصري التوزري (ت 681هـ/1282م): **تاريخ الأندلس لابن الكردبوس وهو قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ووصفه لابن الشباط وهو قطعة من كتاب صلة السمط وسمة الرمط**، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدِّراسات الإسلامية، مدريد، 1971م.

- مجهول (مؤلف أندلسي عاش في القرن الرَّابع الهجري): **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها**، تحقيق وتعليق إسماعيل العربي، المؤسَّسة الوطنيَّة للكتاب، الجزائر، 1989م.

- مجهول: **فتح الأندلس في عهد موسى بن نصير**، تحقيق حساني مختار، منشورات مطبعة دحلب، الجزائر، د.ت.

- مجهول (من أهل القرن الثامن الهجري): **ذكر بلاد الأندلس**، تحقيق وترجمة لويس مولينا، مدريد، ج1، 1983م.

- مجهول (لمؤلف أندلسي من أهل القرن الثَّامن الهجري): **الحُلل الموشيَّة في ذكر الأخبار المُرَّاكشيَّة**، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط1، دار الرَّشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1399هـ/1979م.

- مجهول (من أهل القرن التاسع الهجري): **نُبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر – تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيِّين إلى المغرب**، ضبطه وعلَّق عليه الفريد البستاني، ط1، مكتبة الثقافة الدِّينية، القاهرة، 2002م.

- المُرَّاكشي، عبد الواحد بن علي (ت 647هـ/ 1249م): **المُعجب في تلخيص أخبار المغرب**، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، ط1، منشورات محمَّد علي بيضون، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1419هـ/1998م.

- المقَّري، أحمد بن محمَّد المقري التِّلمساني (ت 1041هـ/1631م): **نفحُ الطِّيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت، مج1، مج4، 1408هـ/1988م.

- ابن الوردي، زين الدِّين عمر بن مظفر (ت749هـ/ 1348م): **تاريخ ابن الوردي**– أو– **تتمة المختصر في أخبار البشر**، ط1، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ج1، 1996م.

– المصادر الجغرافيَّة:

- الإدريسي، أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني (ت 560هـ/1064م): **القارَّة الإفريقيَّة وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، تحقيق وتقديم وتعليق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 1983م.

- ابن جبير، أبو الحسن محمَّد بن أحمد الكناني الأندلسي (ت 614هـ/1217م): **رحلة ابن جبير**، دار صادر، بيروت، د.ت.

- الحموي، شهاب الدِّين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرُّومي البغدادي (ت 626هـ/1828م): **مُعجم البلدان**، دار صادر، بيروت، مج1، مج3، 1397هـ/1977م.

- الحِميري، أبو عبد الله محمَّد بن عبد المنعم (توفي في منتصف القرن الثَّامن الهجري): **الرَّوضُ المعطار في خبر الأقطار**، حقَّقه إحسان عبَّاس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م.

- الزُهري، أبو عبد الله محمَّد بن أبي بكر (توفي في أواسط القرن السادس الهجري): **كتاب الجغرافية**، تحقيق محمَّد حاج صادق، مكتبة الثقافية الدينية، مصر، د.ت.

- المعاجم اللغويَّة:

- ابن منظور، جمال الدِّين أبي الفضل محمَّد بن مكرم الأنصاري (ت 711هـ/1311م): **لسان العرب**، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مج3، مج5، 1994م.

- المراجع العربية:

- أحمد محمود حسن: **قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.

- أرسلان شكيب: **الحُلل السُّندسيَّة في الأخبار والآثار الأندلسيَّة**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ج1، د.ت.

- إسماعيل عبد الرزاق محمود: **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1985م.

- إسماعيل محمود: **الأدارسة (172-375هـ) حقائق جديدة**، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م.

- البستاني بطرس: **معارك العرب في الأندلس**، ط1، منشورات دار المكشوف، بيروت، 1950م.

- بشتاوي عادل سعيد: **الأمة الأندلسية الشهيدة (تاريخ 100 عام من المواجهة والاضطهاد بعد سقوط غرناطة)**، ط1، دار صبح للطِّباعة، بيروت، 2000م.

- بلغيث محمَّد الأمين: **دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي**، ط1، دار التَّنوير للنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، 2011م.

- بوعزيز يحي: **الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر القديمة والوسيطة**، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، ج1، 2007م.

- حامد خليفة محمَّد: **يوسف بن تاشفين موحد المغرب وقائد المرابطين ومنقذ الأندلس من الصَّليبيِّين 400-500هـ= 10091106م**، ط1، دار القلم، دمشق، 2003م.

- الحايك سيمون: **ابن مَردنيش أو المُوَحِّدُون**، الطبعة البوليسيَّة، لبنان، 1993م.

- حبيبة علي:**مع المسلمين في الأندلس**، مكتبة الشباب، مطابع سجل العرب،مصر، 1972م.

- الحجي عبد الرَّحمان علي: **التَّاريخ الأندلسي من الفتح حتَّى سقوط غرناطة (92-897هـ/711-1492م)**، ط2، دار القلم، بيروت، 1981م.

- الحريري محمَّد عيسى: **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610هـ/1213م)-(869هـ/1465م)**، ط2، دار القلم للنَّشر والتَّوزيع، الكويت، 1987م.

- حسن محمود منى: **المُسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة (92-206هـ-714-814م)**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986م.

- حمدي عبد المنعم محمَّد حسين: **التَّاريخ السِّياسي والحضاري للمغرب والأندلس فيعصر المرابطين**، دار المعرفة الجامعيَّة، مصر، 2008م.

- حَومَد أسعد: **محنة العرب في الأندلس**، ط2، المؤسَّسة العربيَّة للدِّراسات والنَّشر، بيروت، 1988م.

- زغلول سعد عبد الحميد: **تاريخ المغرب العربي المرابطون صنهاجة الصحراء الملثمون في المغرب و السودان و الأندلس**، ط1، منشأة المعارف، الإسكندرية، ج4، 1995م.

- زيتون محمَّد محمَّد: **المسلمون في المغرب والأندلس**، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1990م.

- سالم سيسالم عصام: **جُزر الأندلس المنسيَّة (التَّاريخ الإسلامي لجُزُر البليار) 89-685هـ/708-1287م**، ط1، دار العلم للملايِّين، بيروت، 1984م.

- سالم السيد عبد العزيز، العبادي أحمد مختار: **تاريخ البحريَّة الإسلاميَّة في حوض البحر الأبيض المتوسط، البحريَّة الإسلامية في المغرب والأندلس**، مؤسَّسة شباب الجامعة، الإسكندريَّة، ج2، 1993م.

- السامرائي عبد الحميد حسين أحمد:**تاريخ الجهاد الإسلامي في الأندلس**، ط1، دار شموع الثقافة للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، 2003م.

- سعدون نصر الله: **تاريخ العرب السِّياسي في الأندلس**، ط1، دار النَّهضة العربيَّة للطِّباعة والنَّشر، بيروت، 1998م.

- السَّلاوي، أحمد بن خالد النَّاصري: **الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق جعفر النَّاصري، محمَّد النَّاصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ج2، 1954م.

- سهيل طقوش محمَّد: **تاريخ المسلمين في الأندلس 91-898هـ/710-1492م**، دار النفائس،بيروت، 2008م.

- شاكر مصطفى: **الأندلس في التَّاريخ**، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 1990م.

- شكري فرحات يوسف: **غرناطة في ظلِّ بني الأحمر (دراسة حضارية)**، ط1، دار الجيل، بيروت، 1993م.

- الصَّلابي محمَّد علي: **تاريخ دولتي المرابطين والموحِّدين في الشمال الأفريقي، القسم الأوَّل دولة المرابطين في الشمال الأفريقي**، ط3، دار المعرفة للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، 2009م.

- ابن أبي الضياف أحمد: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، تحقيق لجنة من كتابة الدَّولة للشؤون الثقافية والأخبار، الدار التونسيَّة للنَّشر، ج1، 1976م.

- عبد اللَّطيف دندش عصمت: **أضواء جديدة على المرابطين**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م.

- ـــــــــــــــــــ:**الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحِّدين، عصر الطَّوائف الثَّاني 510هـ-546هـ/1116م-1151م**،ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.

- عبد الهادي عبد اللَّطيف: **الأندلس الإسلاميَّة سياسيًا وحضاريًا**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2011م.

- العسلي بسام: **المعتمد وابن تاشفين**، ط4، دار النَّفائس للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، 1992م.

- عنان محمَّد عبد الله: **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأوَّل- القسم الثَّاني- الخلافة الأمويَّة والدَّولة العامريَّة**، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م.

- ـــــــــــــــــــ: **دولة الإسلام في الأندلس- العصر الثَّاني- دول الطَّوائف منذ قيامها حتَّى الفتح المرابطي**، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م.

- ـــــــــــــــــــ: **دولة الإسلام في الأندلس– العصر الثَّالث– عصر المرابطين والموحِّدين في المغرب – القسم الأوَّل عصر المرابطين وبداية الدَّولة الموحِّدِية**، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1411هـ/1990م.

- ـــــــــــــــــــ: **دولة الإسلام في الأندلس– عصر الموحِّدين**،الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، القاهرة، ج5، 2002م.

- عويس عبد الحليم: **إحراق طارق بن زياد للسفن أسطورة... لا تاريخ**، ط1، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1995م.

- ـــــــــــــــــــ: **دولة بني حمَّاد صفحة رائعة من التَّاريخ الجزائري**، ط2،دار الصحوة للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، دار الوفاء للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، المنصورة، 1991م.

- العيدروس محمَّد حسن: **العصر الأندلسي، تاريخ وحضارة الأندلس، النظم الإدارية في إسبانيا الإسلامية**، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2012م.

- الفقي عصام الدِّين عبد الرؤوف: **تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، د.ت.

- القرقوطي معمر الهادي محمَّد: **جهاد الموحِّدين في بلاد الأندلس (541–629هـ/1146–1233م)**، دار هومة للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، 2005م.

- قلَّاتي عبد القادر: **الدَّولة الإسلاميَّة في الأندلس من الميلاد إلى السُّقوط**، ط1، دار وحي القلم، دمشق، 2010م.

- الكاتب سيف الدين: **أعلام من المغرب والأندلس**، مؤسَّسة عز الدِّين للطِّباعة والنَّشر، بيروت، 1982م.

- كنون عبد الله: **يوسف بن تاشفين**، ط2، منتدى ابن تاشفين المجتمع والمال، المحمديَّة، 2004م.

- لقبال موسى: **المغرب الإسلامي**، ط2، الشركة الوطنيَّة للنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، 1981م.

- مؤنس حسين: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد، القاهرة، 2004م.

- مجيد السَّعيد محمَّد: **الشعر في ظلِّ بني عبَّاد**، ط1، مطبعة النعمان، العراق، 1972م.

- محمَّد درنيقة ريما: **الوجيز في التَّاريخ السِّياسي والحضاري للأندلس**، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2013م.

- مرعشلي نديم: **المعتمد بن عباد بطل جسد مأساة الأندلس، وشاعر عنَّى مجدها المفقود**، دار الكتاب اللبناني، مطبعة الاجتهاد، د.ت.

- مصطفى مسعد سامية: **العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأمويَّة (300-399هـ/912-1008م)** ط1، **عين للدِّراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية**، 2000م.

- المعموري الطاهر: **الغزالي وعلماء المغرب**، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسَّسة الوطنيَّة للكتاب، الجزائر، 1990م.

- مكيّ محمود علي: **وثائق تاريخيَّة جديدة عن عصر المرابطين، مكتبة الثقافة الدِّينيَّة**، ط1، القاهرة، 2004م.

- النَّجار عبد المجيد: **المهدي بن تومرت – حياته وآراؤه وثورته الفكريَّة والاجتماعيَّة وآثره بالمغرب**، ط1،دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.

المراجع المُعربة:

- أشباخ يوسف: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحِّدين**، ترجمة وتعليق محمَّد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، 1996م.

- برنشفيك روبار: **تاريخ إفريقيَّة في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م**، نقله إلى العربية حمَّادي السَّاحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، 1988م.

- بروفنسال ليفي: **حضارة العرب في الأندلس**، ترجمة ذوقان قرقوط، مطبعة النجوى، بيروت، د.ت.

- دوزي رينهرت: **المسلمون في الأندلس**، ترجمة وتقديم حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ج3، 1995م.

- ــــــــــــــ: **ملوك الطوائف**، ترجمة كامل كيلاني، ط1، مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1933م.

- كاربخال مارمول: **افريقيا**، محمَّد حجي وآخرون، مكتبة المعارف للنَّشر والتَّوزيع، الرباط، 1984م.

- كولان. ج. س: **الأندلس**، ترجمة لجنة دائرة المعارف الإسلامية إبراهيم خورشيد وآخرون، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1980م.

- مونتغمري وات: **في تاريخ اسبانيا الإسلاميَّة (مع فصل في الأدب بقلم بيير كاكيا)**، ترجمة محمَّد رضا المصري، ط2، شركة المطبوعات للنَّشر والتَّوزيع، 1998م.

- ميراندا أمبروسيو هويثي: **التَّاريخ السِّياسي للإمبراطوريَّة الموحِّديَّة**، ترجمة عبد الواحد أكمير، ط2،منشورات الزمن، المغرب، 2015م.

- الموسوعات:

- جمال الدِّين عبد الله: **تاريخ المسلمين في الأندلس (93-897)هـ**، منشور ضمن **موسوعة سفير للتَّاريخ الإسلامي**، شركة سفير، القاهرة، د.ت.

- زبيب نجيب: **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس**، تقديم أحمد بن سودة، ط1، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، ج2، 1995م.

- **الموسوعة الميسرة في التَّاريخ الإسلامي**، تقديم راغب السرجاني، ط1، مؤسَّسة اقرأ، القاهرة، ج1، 2005م.

- يوسف فرحات: **موسوعة الحضارة العربيَّة العصر الأندلسي (الحضارة الأندلسيَّة)**، دار كلمات للنَّشر، مج6، 1995م.

- الرَّسائل الجامعيَّة:

- راكة عمر: **العلاقات السِّياسيَّة للدَّولة الموحِّديَّة بالإمارات الإسلاميَّة والممالك المسيحيَّة في الأندلس (540هـ-1145م/668هـ/1269م)**، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، قسم التَّاريخ، (2010-2011م).

- شقدان بسام كامل عبد الرزاق: **تلمسان في العهد الزياني 633-962هـ/1235-1555م**، رسالة ماجستير في التَّاريخ، جامعة النَّجاح الوطنيَّة كلية الدِّراسات العليا، قسم التَّاريخ، نابلس، فلسطين، 2002م.

- فلنتيا سليمان عفانة: **مملكة اشبيلية زمن بني عباد وعلاقاتها الداخليَّة والخارجيَّة (414-484)هـ/ (1023- 1069)م**، رسالة ماجستير في التَّاريخ الإسلامي، كلية الدِّراسات العليا في جامعة النَّجاح الوطنيَّة، نابلس، فلسطين، (2002-2003م).

- مقالات ضمن الكتب والمجلات:

- التَّازي عبد الهادي: **تعقيب على عودة ابن تاشفين إلى المغرب بعد الزَّلاقة**، مقال منشور ضمن كتاب **أضواء جديدة على المرابطين**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م.

- الدَّباغ عبد الوهاب: **التَّحدي الصَّليبي للوجود الإسلامي في اسبانيا**، منشور ضمن كتاب **الوحدة والتَّنوع في تاريخ المسلمين بحوث في التَّاريخ والحضارة الإسلاميَّة**، ط1، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2002م.

- السيد أبو مصطفى كمال: **تاريخ مدينة طُرطوشة الإسلامية وحضارتها في عصر دويلات الطَّوائف في القرن 5هـ/11م**، منشور ضمن كتاب **السِّجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التَّقلبات والعطاءات، القسم الأوَّل، التَّاريخ والفلسفة**، ط1، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامَّة، الرياض، 1996م.

- علي أحمد: **اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى**، مجلة دراسات تاريخية، لجنة كتابة تاريخ العرب، جامعة دمشق، السنة 17، العددان 57- 58، 1996م.

المراجع الأجنبيَّة:

- Amar Dhina**: Grands tournants de l'histoire de L'Islam (de la bataille de badar à L'attaque d'Alger par Charles- Quint),** sociéténationale d'édition et de diffusion ,Alger, 1978.

-André Clôt: **L'Espagne musulmane**, édition Perrin, Paris, 1999.

-Eugène Guernier et G. Froment-Guieysse**: L'Encyclopédie Coloniale et maritime - Maroc**, éditions de l'empire Français, Paris, 1948.

- E. Lévi – Provençal**: Islam D'occident**, librairie Orientale et Américaine, Paris, 1948.

- Jean Brignon et autres: **Histoire du Maroc** , librairie Nationale, Casablanca, 1967.

-Philippe Conrad : **Histoire de la Reconquista**,isbn,2^{em}édition,1999.

محتويات البحث

مقدمة.....01

المحاضرة الأولى: الإطار الجغرافي لشبه الجزيرة الإيبيرية.....04

المحاضرة الثانية: الأوضاع السِّياسيَّة لشبه الجزيرة الإيبيرية قبل الفتح الإسلامي.....08

المحاضرة الثالثة: الفتح الإسلامي للأندلس.....12

المحاضرة الرابعة: عصر الولاة في الأندلس.....17

المحاضرة الخامسة: الإمارة الأمويَّة في الأندلس.....20

المحاضرة السادسة: الخلافة الأموية والدَّولة العامرية في الأندلس.....24

المحاضرة السابعة: العلاقات السياسية بين أموي الأندلس ودول المغرب والممالك النصرانية.....29

المحاضرة الثامنة: نهاية الخلافة الأموية في الأندلس.....32

المحاضرة التاسعة: دويلات الطَّوائف الأولى في الأندلس.....34

المحاضرة العاشرة: الدَّولة المرابطيَّة في الأندلس.....44

المحاضرة الحادية عشر: دويلات الطَّوائف الثانية في الأندلس.....71

المحاضرة الثانية عشر: الدَّولة الموحِّديَّة في الأندلس.....78

المحاضرة الثالثة عشر: دولة بني نصر (بني الأحمر) في الأندلس.....107

المحاضرة الرابعة عشر: العلاقات السياسية بين الأندلس ودول المغرب والممالك النصرانية من القرن 7 إلى 9 هـ/13-15م.....115

خاتمة.....120

قائمة المصادر والمراجع.....123

محتويات البحث.....141